465

HARLEQUIN

روايات أحلام

المرأة ذات الثوب الأزرق

آنجي راي

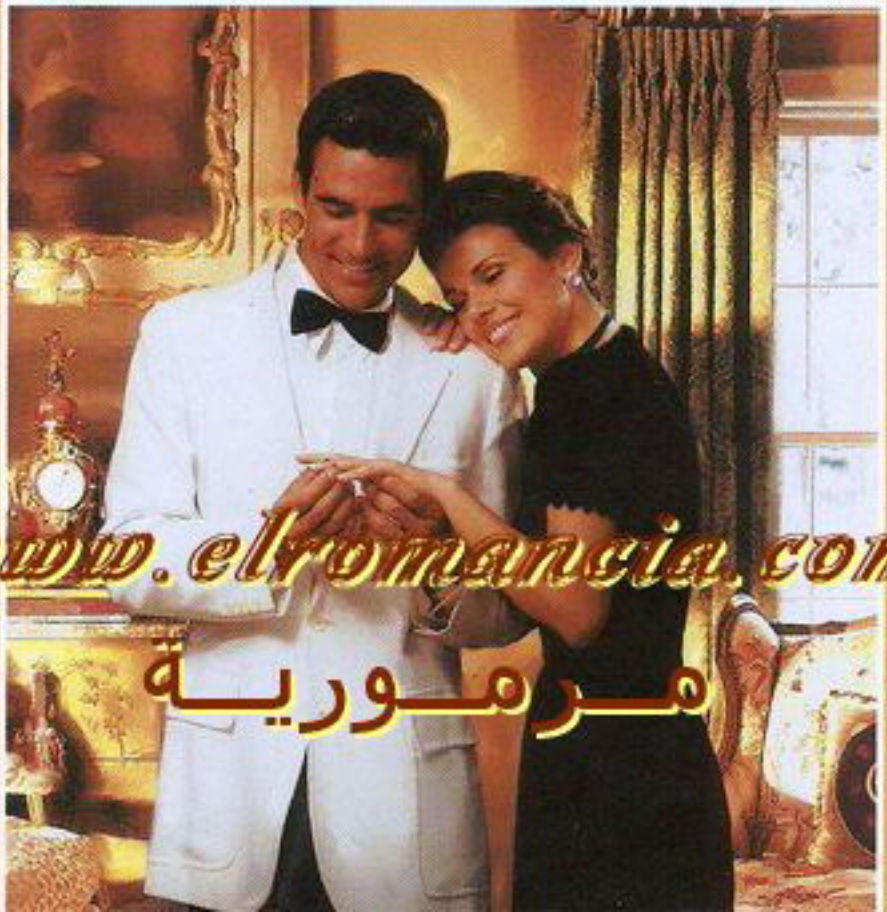

www.elromancia.com
مرمورية

المرأة ذات الثوب الأزرق

لم يكن الحب جزء من خطته...
الجميع يخشى العبث مع غاريك ويسنوسكي. فهو مليونير ذو شخصية صلبة استطاع أن ينقذ شركة والده من الإفلاس المحتم. ولكن عندما أجبرته مشكلة عائلية على ادعاء مواعدة "فتاة لطيفة"، اختار غاريك إيلي هيرنانديز الفتاة التي تعمل في تنظيف المنازل. من بين عدة أعمال أخرى. اعتقد غاريك أنه اختار الشخص المناسب للقيام بالمهمة. فهي بنظره وصولية يمكن أن تفعل أي شيء للحصول على نقود. لكن مفاجأة كبيرة بانتظاره: فلا المال ولا السلطة يؤثران بتلك الفتاة. وها هو يرغب بها فعلاً... وهذا ما لم يكن بالحسبان!

آنجي راي

هذه الرواية العاطفية الأولى للمؤلفة وقد حصدت جائزة ARita[R]. لها روايات عديدة في مواضيع تاريخية وما ورائية.

خيال هذه الروائية الآتية من جنوب كاليفورنيا خصب بالكثير من الأفكار لرواياتها التالية. وهي تهوى التفكير أثناء ممارستها رياضة المشي. زوجها وولداها يلهيانها كثيراً لكنها تستقطع وقتاً كما تقول لكتابة مشهد آخر وهذا يجعلها تنتهي من رواية لتبدأ أخرى.

١ - امرأة بريئة

كان العقد أبشع قطعة حلي رآها غاريك ويسنوسكي في حياته وأكثرها بهرجة، إذ تنافس فيها الياقوت والزمرد في اللمعان والتألق على خلفية ذهبية لامعة مزيّنة بالثنيات بما يكفي لجعل أيّ قيصر روسي يطرف بعينيه. قد تتسبب أيّ امرأة تضع هذا العقد بالعمى للمتفرجين فهذه الحلية لا تمت بصلة إلى الجمال أو الأناقة... إنها مجرد مال صرف.

قال للشقراء التي لم تنفك تطرف بعينيها له منذ دخل إلى المتجر: «هذا ممتاز، سآخذه».

هنأته قائلة: «إنه خيار ممتاز. ذوقك مرهف يا سيد ويسنوسكي».

- شكراً لك.

بدا أنّ المرأة الشّابة لم تلاحظ السخرية في صوته فراحت تثرثر معه بحماسة وهي تضع العقد في علبة مبطّنة بالساتان وتسجّل المبلغ: «النساء يعشقن الياقوت والزمرد. ألا تعتقد أنها مثيرة للاهتمام أكثر من الماس؟ أنا واثقة من أن صديقتك ستحب العقد».

توقّفت عن الكلام لترى ردّ فعله على تعليقها، وأدرك هو معنى النظرة في عينيها. في الشهر الجهنمي الفائت، اضطر لمواجهة العديد من النساء، نساء ارتسمت على وجوههن هذه التعابير نفسها، تعابير صيّاد ينتظر الفرصة المؤاتية لينقضّ على فريسته. وقد استخدم أساليب عدّة للتعامل معهن: كالهجوم والانسحاب والتظاهر بالموت.

لم يستخدم الهجوم إلّا في الحالات القصوى؛ وهذا ما لا ينطبق على البائعة الشقراء، حتّى الساعة على الأقل. ولا يمكنه الانسحاب حتّى

www.elromancia.com

يستعيد بطاقة اعتماده، ما لم يترك أمامه سوى خيار واحد. فلم يرد على تعليقها عن المرأة التي ستتلقى العقد بالنفي أو الايجاب.

إلّا أنّ صمته لم يثنها عن عزمها. فأنهت الصفقة ودفعت علبة المجوهرات عبر الطاولة الزجاجية مرفقة ببطاقة عمل، وهي تقول: «رقم هاتف منزلي على الجهة الخلفية من البطاقة. إذا احتجت لرؤية مجموعتنا... على انفراد فأرجو أن تتصل بي».

وضع غاريك العلبة في جيبه لكنه ترك البطاقة على الطاولة وهو يرد عابساً: «ما من حاجة لذلك».

اتجه نحو الباب بخطى سريعة، فكاد يصطدم بزبون آخر دخل إلى المتجر مع هبّة رياح قارسة. وقف الرجل القصير والبدين وسط المدخل وراح يحدّق في غاريك: «هاي! أنا اعرفك!».

بدا أنّ الرجل الأشبه بانسان الكهوف قد تذكّر إذ غمز غاريك وأضاف: «رأيت صورتك في المجلة هذا الصباح. هانك، أليس كذلك؟ هه، ها، ها...».

ردّ غاريك بصوت بارد كالجليد: «أرجو المعذرة، أنت تقف في منتصف الطريق».

توقف الرجل عن الضحك وتنحى جانباً على الفور فخرج غاريك صافقاً الباب خلفه. وقف على الرصيف البارد والمظلم، والمطر البارد يلسع وجهه ويديه.

وضع قفازيه بعنف ولفّ وشاحه حول أسفل وجهه وسار على الرصيف وقد أضحت خطواته أسرع من المعتاد بسبب الضيق الذي شعر به، فيما هو يلعن نفسه لأنه وافق على التحدّث إلى تلك الصحفية اللعينة.

لقد خرق قاعدته المعتادة التي تقضي بعدم إجراء أيّ مقابلات لأنها قالت إنها تكتب مقالة عن مساهمة رجال الأعمال في إعادة الحيوية للمدينة عبر تأمين فرص عمل. لو عرف نواياها الفعلية لطردها من مكتبه على الفور. وها قد استحالت حياته جحيماً لأنه لم يلتزم الحذر للحظة

واحدة. في بادئ الأمر، أضحكته المسألة بعض الشيء: لكنه بدأ يتلقى رسائل بالآلاف، وراحت النساء يقصدنه في مكتبه، وفي شقته، وحتى في المطاعم حيث يتناول العشاء...

وفيما هو يجدّ في سيره، داس في بركة مياه صغيرة. ما حصل الليلة الماضية كان القطرة التي جعلت الكوب يفيض. كان على وشك أن ينهي صفقة مع زبون أثناء تناولهما الطعام معاً حين تقدّمت منهما فتاة جريئة تُدعى ليلي لايد وادّعت أنّها تنقل الرسائل الغنائية... إنما بدا أنها مهتمة بالتعرّي أكثر منها بالغناء. وفيما راحت النساء المسنّات ينظرن إليها مروّعات، اضطر هو أن يغطي المرأة بالملابس ويرافقها إلى خارج المطعم. وما أن وصلا إلى الخارج حتى وضعت ذراعيها حول عنقه وطبعت قبلة على فمه. لقد أبعد ليلي، لكن ولسوء الحظ ليس قبل أن يلتقط لهما أحد المصوّرين المتطفلين صوراً عدة. أحنى غاريك كتفيه محاولاً تجاهل الهواء القارس وانعطف عند زاوية الطريق إلى حيث تنتظره سيارته الليموزين. لم يعد الوضع مسلياً. في الواقع، لقد طفح به الكيل...

- أوف!

أصدرت المرأة هذا الصوت الخافت وهي ترتطم به فتطايرت الطرود التي تحملها بين ذراعيها، كما ارتفعت هي أيضاً عن الأرض لتعود وتحط على مؤخرتها على الثلج.

سارع إليها غريزياً وجلس القرفصاء قربها يسألها: «هل أنت بخير؟».

بدت عيناها الزرقاوان برموشهما السوداء الطويلة، دائختين قليلاً، لكنها أومأت برأسها: «أنا بخير...».

تحوّلت نظراته إلى فمها، تراقب شفتيها وهما تشكّلان الكلمات. كانت شفتها العليا طويلة ومستقيمة تماماً، وترتفع قليلاً عند طرفها، أما الشفة السفلى فبدت أقصر وأكثر امتلاءً، لكن من دون مبالغة. وجاءت النتيجة مثيرة إلى أقصى حد.

انحنى نحوها أكثر ليسمعها وسط الرياح التي تصفر: «أنا آسفة

جداً...».

قاطعها وهو يبعد عينيه عن فمها رغماً عنه: «الذنب ذنبي، لم أكن أنظر أمامي».

- لا، لا، أنا كنت أركض لأحاول اللحاق بقطاري... آه، أغراضي!.

وقفت على قدميها بمساعدة طفيفة من ذراعه ثم أمسكت بعلبة وقعت على الأرض. بدا من تحت الغطاء المسحوق وشاح أزرق اللون ومنديل، لكنها أعادت العلبة إلى حقيبتها.

- هل أنت واثقة من أنك بخير؟

التقطت قبعتها واعتمرتها ليخفي الصوف الأحمر رأسها كله، إلّا بضع خصلات سوداء قصيرة.

- نعم، أنا واثقة.

ابتسمت ابتسامة حزينة، أظهرت أسناناً بيضاء تتعارض مع لون بشرتها الذهبي، وغمازتين على الخدّين، ثم أردفت: «أظن أنّ أغراضي عانت أكثر!».

فقال وهو يمسك بكيس يكاد يطير: «دعيني أساعدك».

وضع علباً صغيرة عدة داخله فيما هو يركّز عليها أكثر مما يركز على مهمته. بدا وكأنها لم تعرفه... وهذا أمر نادر هذه الأيام. لم يستطع أن يرى وجهها وهي ملتفة بمعطف رثّ كبير جداً قياساً بحجمها. لكنها قصيرة القامة، وقد شعر بعظام يدها الرقيقة عبر قفّازها حين ساعدها لتقف. التقط حذاءً رياضياً صغيراً، زهري وأصفر وأزرق اللون وعاد يرمق المرأة مجدداً بنظراته. إنها صغيرة في السن... لكنها ليست أصغر من أن تكون أماً.

- هذا الحذاء ملطّخ بالوحل. سأستبدله هو وأيّ غرض آخر تضرر.

اعترضت على الفور: «لا! سأغسله. وإن لم ينظف، فلا بأس لأن الصغيرة لن تلاحظ هذه البقع القليلة... آه!».

وسارعت لتستعيد كرة بايسبول تتدحرج ببطء في قناة المياه على جانب الطريق. ورأى مجلة تقلّب الرياح صفحاتها، فناداها وهو ينحني ليلتقطها: «هل هذه لك؟».

التفتت إليه من فوق كتفها وأومأت برأسها قبل أن تمسك بالطابة.

رفع غاريك المجلة وجمد حين رأى وجهه يحدّق فيه من على غلافها. ودس المجلة في الكيس قبل أن يتوجّه إلى حيث انحنت لتستعيد الطابة. وما أن وقفت حتّى دفع إليها بالكيس وقال باقتضاب: «هاكِ انتبهي أين تسيرين في المرة القادمة».

وابتعد بقوة ليدوس مباشرة في بركة مياه صغيرة، ما جعل المياه الباردة تتناثر على أعلى حذائه، فشتم في سره، وسار بخطى سريعة نحو السيارة التي تنتظره ثمّ صعد على متنها قائلاً: «إلى المنزل يا هارديب».

فردّ السائق: «حاضر سيدي».

نظر غاريك من النافذة فيما السيارة تعبر الطريق، فرأى المرأة لا تزال واقفة في قناة المياه، وهي تمسك بأكياسها وتحدّق في سيارة الليموزين. بدا على وجهها تعبير انذهال شديد.

واكتسحه الغضب. لا بدّ أنها كانت تقف عند الزاوية تنتظره. لو لم تظهر المجلة، لظن أن ارتطامهما ببعضهما البعض محض صدفة، حتى أنه كاد يعرض عليها أن يوصلها إلى منزلها. إنها بارعة حقاً وأفضل من معظم سابقاتها. بدت بريئة للغاية... باستثناء فمها. كان على هذا الفم أن يحذّره...

جلس في صمت كئيب حتى توقّف السائق أمام المبنى حيث شقته. ولم يلحظ أنه فقد شيئاً إلّا حين دخل وبحث في جيبه.

لقد اختفى العقد المصنوع من الياقوت والزمرد.

* * *

دخلت ايللي إلى شقتها مبللة، تشعر بالبرد والتعب فرمت أكياسها على طاولة المطبخ الصغيرة مطلقة تنهيدة ارتياح. قالت لقريبتها التي كانت

تتحقق من قدر كبيرة وضعتها على النار: «مرحباً مارتينا، كيف كانت الامتحانات؟».

- جيدة. أسهل مما توقّعت.

ورفعت مارتينا وعاءً مملوءاً بالطامال وهو طعام مكسيكي معدّ من دقيق الذرة واللحم المفروم مع الفلفل الأحمر، ووضعته على حافة الحوض. ألقت نظرة من فوق كتفها وشعرها الطويل الداكن يتمايل مع حركتها، وارتفع حاجباها المقوّسان أصلاً قبل أن تسأل: «ما الذي حصل لك يا عزيزتي؟».

هزّت ايللي رأسها وهي تخلع معطفها وقفّازيها الرطبين وسارت نحو الفرن القديم إنما الساخن لتدفئ يديها الباردتين بجيبة: «إنها قصة طويلة. يكفي أن أقول إني اصطدمت بالسيد متذمر وفوّت قطاري».

واشتمت الهواء مضيفة: «رائحة هذا الطعام لذيذة جداً، هل يمكنني الحصول على قطعة منه؟».

- حسناً... نعم، إنما قطعة واحدة فقط، لقد أعددتها لحفلة الغد. من هو السيد متذمر هذا؟

- لا أحد.

طردت ايللي الرجل المزعج من فكرها، علماً أنه يبدو شخصاً ذا شأن، بقفازيه الجلديين وسيارته الليموزين. يبدو أنه شخص ثري ومدلل قرر فجأة أنها لا تستحق الوقت أو الجهد اللذين يتطلبهما التصرّف بلطف. جلست على كرسي وراحت تقضم الطعام. أحرق اللحم الساخن فمها لكنها كانت جائعة جداً فلم تكترث: «هذا رائع يا مارتينا. أفضل من الطبق الذي يعدّه والدك. عليك بيعها فتجنين ثروة».

- أنا أحب الطبخ... لكن ليس إلى هذا الحدّ.

ووضعت مارتينا الفطائر في طبق زجاجي قبل أن تردف: «كيف كانت الأعمال في المعرض اليوم؟».

- ليست سيئة. دخل الكثيرون إلى المعرض. وأقنعت ثنائياً بأخذ لوحة

معهما إلى المنزل لتجربتها، كما بعت منحوتة.

كسرت ايللي قطعة من الفطيرة بعناية، وتابعت كلامها قائلة: «أحبت المرأة اللوحة. قالت إنها تذكّرها بشعورها حين وقعت في الحب للمرة الأولى. لم تنظر حتى إلى السعر، لكن عندما اطلعتها على سعرها، قالت إنها لا تستطيع دفع هذا القدر ورجتني أن أقدّم لها بعض الحسم. قلت لها إني سأحسم مبلغاً صغيراً، لكنها أجابت بأنها لا تستطيع أن تدفع سوى نصف السعر وهكذا...».

أنهت مارتينا الجملة بدلاً منها وهي تهز رأسها: «وهكذا، انتهى بك الأمر بإعطائها اللوحة مجاناً تقريباً. أنت فاشلة تماماً في المساومة. شخص من آل هرنانديز من دون موهبة المساومة... هذا غير طبيعي».

سخرت ايللي من قريبتها وقالت: «إني أتحسّن».

- نعم، هذا صحيح. قلت إنّ السيد فوغل سيضطر إلى إقفال المعرض إذا لم يبدأ بتحقيق أرباح.

عضّت ايللي شفتها. لقد قالت هذا... وهو صحيح. وأخافتها هذه الفكرة. لقد عملت جاهدة لكن المعرض فشل في تغطية نفقاته في الأشهر الثلاثة الأخيرة. إذا لم تجد حلاً قريباً، فلن يتمكّن السّيد فوغل من إبقاء أبواب المعرض مفتوحة. عندئذٍ، ما الذي سيفعله توم وبرتريس وكافة الفنانين الآخرين الذين يعرضون أعمالهم في المعرض؟ ما الذي ستفعله هي؟ إنها تحب عملها.

حسناً، إنها تضطر أحياناً لتنظيف المنازل لتكمل حتى آخر الشّهر... ما أهمية العمل الشاق بينما لديها المعرض لتتطلع إليه؟ في فوغل، آلاف الأمور المثيرة وغير المتوقعة يمكن أن تحدث.

قالت لمارتينا بثقة أكبر مما تشعر: «سترتفع نسبة المبيعات».

- عليك أن تضعي إعلانات. الأعمال تقوم على الإعلانات.

تدرس مارتينا التسويق في جامعة قريبة، وتعتبر نفسها، وهي التي تبلغ الواحدة والعشرين من عمرها، خبيرة في كل ما يتعلق بالأعمال. وتابعت

تقول: «والعلاقات! عليك أن تقيمي علاقات مع الأشخاص المناسبين».

كشّرت ايللي: «أتعنين أن أتملّق بعض رجال الأعمال الأثرياء وزوجاتهم؟».

- هذا يسمى إنشاء شبكة علاقات. يا لك من متكبّرة يا ايللي!

- أنا لست كذلك!

- أنت كذلك عندما يتعلق الأمر بالفن. انفطر قلبي على تلك المرأة المسكينة التي أتت إلى المعرض بالأمس...

- مارتينا! أخبرتك بما قالته...

- آه، نعم، أرادت أن تعلم ما إذا كانت اللوحات استثماراً جيداً. هذه ليست جريمة ايللي، الرغبة في كسب المال ليست كذلك.

- إذا أرادت أن تكسب المال فعليها أن تستثمر في العقارات.

وألقت ايللي نظرة من فوق كتفها على الأريكة الجلدية في غرفة الجلوس... والأعمال الفنية العديدة التي تغطي كل شبر من الجدار فوقها وأردفت: «يجب ألّا يرتبط الفن بالمال».

نظرت مارتينا إليها بعجب: «أنت مخطئة ايللي. إنه مرتبط بالمال... حالياً على الأقل. كان عليك أن تجدي ما تبيعينه لتلك المرأة بدلاً من أن تقترحي عليها زيارة معرض آخر. عليكِ أن تفكّري كرجل أعمال».

ووضعت مارتينا الفطائر في الثلاجة ثم اقتربت من الأكياس على الطاولة: «هل اشتريتِ لي المجلة؟».

- نعم، إنها هنا في مكان ما.

وراحت ايللي تعبث بفطيرتها بذهن شارد. هل مارتينا محقة؟ هل هي متكبّرة عندما يتعلق الأمر بالفن؟ ربما. حسناً، على الأرجح. الفنان يبذل الكثير من نفسه في عمله، وينفق الكثير من الوقت والجهد ليختار الألوان والقماش وآلاف التفاصيل الصغيرة الأخرى. بدا لها معيباً أن تترك شخصاً لا يهتم مثقال ذرة بجهد الفنان وتعبه يحمل معه القطعة إلى منزله. لكنها لا تستطيع ولسوء الحظ أن تهتم بالصح والخطأ بعد اليوم.

ابتلعت قضمة من الفطيرة بصعوبة. لا يمكنها أن تسمح بإقفال المعرض لمجرد أنها لا تحب أن يرى الشخص السعر بدلاً من الفن عندما ينظر إلى لوحة ما.

- حسناً يا مارتينا. من الآن وصاعداً، سأتصرف كرجل أعمال. سأكون باردة، قاسية، عديمة الرحمة...

- ربما يكفي أن تكوني عملية... ما هذا؟

وأطلقت مارتينا صفرة خفيفة، فرفعت ايللي ناظريها إلى قريبتها التي راحت تحدّق في محتوى علبة مجوهرات مسطّحة.

- ماذا فعلت يا ايللي؟ سحبت المال من المصرف؟

مسحت ايللي الصلصة عن أصابعها ووقفت لتنظر إلى العلبة عن كثب، وانقطعت أنفاسها عندما رأت محتواها. التمعت حبّات الزمرد والياقوت تحت ضوء الشقة الخافت، فقدّم لمعانها شهادة صامتة على أنها صحيحة وغير مزيّفة.

قالت ايللي بتردد: «يا إلهي، لا بد أنه يعود لذاك الرجل... السيد المتذمر».

فعلّقت مارتينا: «لن يكون سعيداً عندما يكتشف أنه فقده».

وافقتها ايللي الرأي: «لا، لا أظن ذلك».

وتساءلت في سرّها عن الشخص الذي اشترى له هذا العقد القبيح. أهي زوجته؟ لا تستطيع أن تتخيّل امرأة متكبرة من نساء المجتمع الراقي تضع مثل هذا العقد المبهرج. أهي عشيقة له؟ وخطر لها أنّ الاحتمال الأخير هو المرجّح.

نظرت إلى اسم متجر المجوهرات المنقوش على الساتان الأبيض وتنهدت قبل أن تقول: «أظن أنّ عليّ أن أعيده إلى المتجر غداً».

وغداً هو ليلة الميلاد... وعليها أن تنظّف منزلين وأن تتحضّر للحفل الذي تقيمه خالتها وزوجها لاحقاً. ليس لديها الوقت لتقوم برحلة أخرى إلى جادة مينشغن.

وخطر لها أنه يستحق ألّا تعيد له العقد إلّا بعد الميلاد.

رمقت مارتينا ايللي بنظرة جانبية وقالت: «لا بدّ أنّ هذا الرجل غنيّ جداً. أتساءل من هو».

- ليس لدي أدنى فكرة.

ولم تكن ترغب في أن تعرف.

بقيت مارتينا ترمقها بنظرات غريبة قبل أن تضيف: «أفترض أنه رجل عجوز».

- ليس فعلاً! لعله في الثلاثين.

- الثلاثون! هذا حسن. أهو وسيم؟

- لم أره كذلك.

كانت ايللي تكذب في الواقع، فانطباعها الأول هو أنه جذّاب للغاية. عندما نظرت في بادئ الأمر إلى وجهه المتجهم، خفق قلبها بشكل غريب. بدا ودوداً جداً، بعينيه الخضراوين اللتين ابتسمتا لها... لتعودا وتتحولان فجأة ومن دون سبب واضح إلى لون رمادي بارد.

لقد استشاطت غضباً من فظاظته وبقيت مستاءة طيلة رحلة العودة إلى المنزل. فهي اعتذرت بشكل آلي... لكنه في الواقع تسبب بهذا الاصطدام بقدرها هي، لم يكن ينظر أمامه كما كان يسير بسرعة. لقد رماها أرضاً وجعلها تسقط أغراضها ما ألحق الضرر ببعض الهدايا وجعلها تفوت قطارها. كان عليه أن يعرض عليها أن يوصلها إلى المنزل على الأقل. وهذا لا يعني أنها كانت لتقبل، لكن... لعله خشي أن توسّخ سيارته الفاخرة.

وأدركت الآن أنه ليس جذاباً أبداً، فقالت لقريبتها: «كان ضخماً وعيناه شريرتان».

- أهو بدين؟

في الواقع، شعرت بعضلات من حديد عندما اصطدمت به: «لا أعلم... كان يرتدي معطفاً، لكن وجهه كوجوه فان غوغ».

فسألتها مارتينا: «ما معنى هذا؟ ألديه أذن واحدة؟».

ضحكت ايللي وهزّت رأسها لكنها لم تضف المزيد، إذ يصعب شرح هذا.

- لا أعرف لما ينبغي أن يكون الرجال الأثرياء شديدي القباحة.

وتنهدت مارتينا قبل أن تمد يدها مجدداً إلى الكيس وتسحب منه المجلة التي طلبت من ايللي أن تشتريها لها. وصححت كلامها وهي ترفع المجلة لتتمكن ايللي من رؤية الغلاف: «حسناً، ربما ليس كل الرجال الأثرياء... غاريك ويسنوسكي رائع، ألّا تظنين ذلك؟».

كانت ايللي قد اشترت المجلة من دون أن تنظر إلى غلافها، لكن عندما نظرت إليها الآن جمدت في مكانها. طالعتها صورة كبيرة لامرأة حمراء الشعر نصف عارية ورجل يحدّق في آلة التصوير بغضب، رجل ذو عينين رماديتين باردتين مألوفتين تحت حاجبين سوداوين كثيفين.

كان التعبير على وجهه مماثلاً لذاك الذي رأته منذ بضع ساعات عندما تركها واقفة وسط المياه. التفتت ايللي إلى العنوان الرئيسي فوق الصورة.

الطبق الرئيسي: احتيال

وبخط احمر ملفت، التحلية: عازب شيكاغو الأكثر عرضة للملاحقة.

٢ - صفقة... وابتزاز

كانت محاولة رؤية غاريك ويسنوسكي أشبه بمحاولة رؤية البابا في روما.

خشيت ايللي أن تجد مقر الشركة مقفلاً عشية الميلاد، لكنه لم يكن كذلك. كان الموظفون يملؤون الردهة الرخامية... أو على الأقل الجزء الذي تمكنت ايللي من رؤيته من مكتب الأمن قرب المدخل حيث راح الحارس يتحقق من هويتها. حدّق في رخصة سوقها عن كثب وكأنه يشك في أنها مزوّرة قبل أن يسألها عن الغاية من زيارتها. أخبرته ثم انتظرت فيما أجرى الحارس اتصالاً هاتفياً وهو يرمقها بنظرات مشككة طيلة الوقت.

وعندما طال انتظارها، بدأت ايللي تشعر بالانزعاج. لقد جاءت إلى هذا المكان بعد أن أنهت تنظيف المنزل الثاني على جدول أعمالها وهي تشعر بأنها متسخة ومتعرّقة. جلّ ما تحتاجه هو العودة إلى المنزل لتستحم وتتحضّر للحفل. أرادت أن تكون في منزل عمها وليس في هذه الردهة الباردة تنتظر غاريك ويسنوسكي. وتمنت لو لم تدع مارتينا تقنعها بالاتصال به مباشرة.

قالت مارتينا: «ألا ترين يا ايللي؟ إنها فرصتك. أعيدي العقد واسأليه إن كان بحاجة لأيّ أعمال فنية لمكتبه لعله يشتري شيئاً ما. وإذا كنت محظوظة، فقد يطلب منك الخروج معه».

حدّقت ايللي فيها مدهوشة: «أشك في أن يحب أياً من الأعمال المعروضة في فوغل. وإذا ما طلب مني أن أخرج معه، وهذا ما لن يفعله،

فمن المستحيل أن أرافقه إلى أيّ مكان. أخبرتك كم كان فظاً. أيّ نوع من الرجال هو لتظهر صورته على غلاف المجلة مع صديقته «الراقصة»، تلك؟».

- لعل هذا هو سبب فظاظته... لعله شعر بالانزعاج من صورته.

نظرت ايللي إلى الوجه العابس على غلاف المجلة... وإلى حمراء الشعر التي لا ترتدي سوى ابتسامة عريضة. ذكر التعليق أنّ اسمها ليلي لايد كما ذكر نوع عملها.

محرج؟ لا تظن ايللي ذلك. ثمة الكثير من الثقة بالنفس في وقفته، لكن الإحراج لا يبرر بأيّ حال فظاظته، كما لا يبرر ذوقه المروّع في النساء... والمجوهرات. الآن، بدا العقد في مكانه الطبيعي.

لكنها لم تتمكّن في نهاية الأمر من مجادلة مارتينا أو ضميرها الذي أخبرها أنّ عليها أن تتناسى كبرياءها وتذهب لرؤية غاريك ويسنوسكي إذا ما أرادت مساعدة كل من يعوّل على المعرض.

هذا هو التصرّف المنطقي. وبغض النظر عن سلوكه الفظ، سيشعر بالامتنان عندما تعيد له عقده المبتذل والمبهرج. وبعد البحث عن مصانع ويسنوسكي في دليل الهاتف، واكتشافها عنوانها الفخم، استقلت القطار من عملها الأخير إلى المدينة. ذكّرتها ناطحة السحاب حين رأتها للوهلة الأولى بالقلاع... حجارة رمادية ونوافذ ضيقة، لا تخترق. وعزز شعورها هذا الحارس الأمني الشديد الحماس لعمله.

وأخيراً، وضع سماعة الهاتف واستدار نحوها حاملاً ورقة في يده فيما عيناه لا تزالان حذرتين: «سجّلي اسمك وعنوانك، وسأعطيكِ بطاقة مرور لتصعدي. دعي معطفك وأغراضك هنا».

هل يعتقد أنها تحمل سلاحاً في جيبها؟ خلعت ايللي معطفها المبلل وأخذت الورقة حيث سجّلت عنوان المعرض بدلاً من عنوانها. وعلّقت البطاقة بحزام حقيبة يدها.

في الأعلى، اضطرت لأن تمرّ بمحنة أخرى، محنة من البذلات الداكنة

والعيون النافذة. عند المكتب الأخير، جلست امرأة ذات شعر رمادي لامع وعينين زرقاوين ثاقبتين نظرتا إلى سروال ايللي وقميصها الأصفر نظرة عدم رضا. أجرت اتصالاً موجزاً ثم رافقت ايللي إلى المكتب الداخلي.

طالعت ايللي جدران من خشب، وسجادة مترفة جداً، وأثاث ضخم، كما علّقت على الجدران لوحات زيتية تمثّل مناظر طبيعية، لوحات بدت بالية إنما باهظة الثمن. وأمامها مباشرة، جلس العازب المشهور نفسه في كرسي أشبه بعرش خلف مكتب مصقول من خشب الماهوغاني.

كان يرتدي بزّة رمادية مخططة، وقميصاً أبيض وربطة عنق سوداء، فبدا محافظاً كمكتبه وإن لم يكن بأناقته. كانت ربطة عنقه منحرفة قليلاً وكأنه شدّها بقوة، كما بدت سترته ضيقة بعض الشيء على كتفيه. لم تكن ملابسه تناسب فعلاً ملامحه الفظّة وبنيته القوية، الشديدة العضلات.

قال: «إذن، فقد تعقّبتني».

حدّقت ايللي فيه بعينين باردتين بقدر العاصفة في الخارج وقالت: «عفواً؟».

بدت الخطوط الساخرة حول عينيه أكثر عمقاً وهو يجيب: «أتظنين أنك أول امرأة تخطط للقائي وتلاحقني؟».

تصلّبت في وقفتها. هل ظن أنها اصطدمت به عمداً لتقابل «عازب شيكاغو الشهير»؟ هل هذا هو السبب الذي جعله يتركها فجأة على الرصيف بالأمس؟

يا له من مغرور!

تقدمت منه وهي تحاول السيطرة على أعصابها ثمّ مدّت يدها بعلبة المجوهرات: «جئت لأعيد لك هذه».

أخذ العلبة ورفع الغطاء. حدّق في العقد للحظة ثمّ أقفل العلبة فيما تعابير وجهه غامضة تماماً. بعدئذٍ، ارتد إلى الخلف ونظر إليها.

توقّعت منه أن يشكرها، أن يعبّر عن امتنانه، وحتى أن يعتذر عن فظاظته لكنه لم يفعل.

قال: «أفترض أنك تتوقّعين مني مكافأة».

في تلك اللحظة، أدركت ايللي أنها تفضّل أن تنظّف مراحيض السيدة بتري يومياً لما تبقّى من حياتها على أن تبيع عملاً من المعرض لهذا الرجل. بقي جالساً مكانه، ولم يحاول حتى أن يقف أو أن يدعوها للجلوس، وعرض عليها المال بدلاً من تقديم الشكر. كل حركة قام بها وكل كلمة نطق بها كانت إهانة. إنها تعرف هذا النوع من الرجال... رجل لا يكترث بالناس أو بمشاعرهم، رجل لا يهتم إلّا بالمال وما يشتريه. لن ينفق ماله البارد على أمر تافه كالفن، لا سيّما الفن الحديث الذي لا يفقهه.

شدّت ايللي قبضتها. ردّ فعلها الأول كان أن ترفض المال بتهذيب بارد ثم تستدير وتخرج، لكنها عاهدت نفسها بالأمس فقط على أن تفكّر كرجل أعمال. ورجال الأعمال ليسوا مهذبين، كما أثبت لها غاريك ويسنوسكي لتوه، كما أنهم ليسوا شديدي الحساسية على المال.

قالت بكل ما استطاعت أن تظهره من توازن: «نعم، أتوقّع أن انال مكافأة».

ونظرت في عينيه مباشرة، وبهدوء، ومن دون أن تطرف حتى عندما رفع حاجبيه.

ارتفعت زاوية فمه وقال: «أنت صادقة على الأقل».

وسحب دفتر الشيكات من جيبه قبل أن يردف: «حددي المبلغ».

ذكرت أول مبلغ خطر لها: «خمسة آلاف».

حدّق فيها للحظة طويلة وصامتة، فرفعت ذقنها وبقيت تنتظر.

لم تضطر لأن تنتظر طويلاً، إذ هزّ كتفه وأخذ قلماً ليحرر الشيك ويسلّمه لها.

حدّقت في قطعة الورق وقد تفاجأت. لعلها لم ترث موهبة المساومة

من أسرة هرناندیز، لكنها ظنت أنه يعرف كيف يساوم. أيّ رجل أعمال هذا الذي يسلّم خمسة آلاف دولار بهذه السهولة؟

رفعت نظرها لتراه يراقبها وقد ضاقت عيناه. عندئذ، تقدّمت بسرعة وأخذت الشيك منه. نظرت إليه ورأت رقم خمسة تسبقه الأصفار المطلوبة. وكانت على وشك أن تعيد له الشيك عندما رنّ جرس الهاتف.

ضغط غاريك ويسنوسكي زراً فتعالى صوت مساعدته: «ثمة طرد من قسم التسويق».

التفت نحو ايللي بسرعة قبل أن يجيب: «أدخليه».

بدا جلياً أنه يطردها. وجعلتها فظاظته تتصلّب... وأسكتت ضميرها. فقالت له بخفة: «شكراً على الشيك».

ودست الورقة في حقيبتها ثمّ توجهت نحو الباب.

فُتح الباب قبل أن تصل إليه ودخل شاب نحيل، لا بل فتى، حاملاً مربعاً عريضاً مسطحاً، مغطى بقماش، وضعه على طاولة من خشب الكرز وهو يدمدم: «طلب مني السيد جونسون أن أحضر هذه إلى هنا».

ثم اندفع خارجاً من الغرفة صافقاً الباب خلفه.

رمشت ايللي لسلوك الفتى. لكن لعل موظفي غاريك ويسنوسكي يخشونه كثيراً! وعادت تتحرك نحو الباب. ولفت نظرها حفيف خافت فيما انزلق القماش عن المربع. توقّفت وقد اتسعت عيناها لرؤية رسم الشخص الذي ظهر، لا بل الرسم الذي يُظهر الكثير.

خرجت ليلي لايد عارية، مبتسمة من محارة، وقد تناقض شعرها الأحمر مع البحر الأزرق من خلفها.

- هل من أمر آخر تريدينه؟

انتفضت ايللي عند سماعها هذا الصوت الخشن فردّت: «لا، لا أبداً».

لكنها لم تستطع أن تقاوم رغبتها في أن تضيف وهي تبتسم بعذوبة: «خطر لي للتو أنّ هذا هو نوع اللوحات التي توقّعت أن تقتنيها».

وابتسمت بعذوبة.

تحوّلت نظرته إلى فمها ثمّ رفعها: «هل تعارضين رسم العراة؟».

- لا، أعترض على الفن السيء.

- أنت خبيرة!

أزعجتها السخرية في صوته بقدر نظرته غير المهذبة فقالت: «أعمل في معرض».

- محل التصوير في المركز التجاري؟

ردّت بعصبية: «فوغل في بيلسن، المختص في الفن الحديث. لا تتردد في زيارتنا إذا رغبت في شراء عمل ذي مستوى أفضل».

واستدارت على عقبيها، ثم أمسكت بمقبض الباب وأدارته.

امتدت يد عريضة من فوق كتفها واستندت إلى الباب تمنعها من فتحه. التفتت من فوق كتفها وهي تعبس، فالتقت نظرتها بصدر ذكوري عريض. رفعت نظرها بسرعة... رفعته عالياً. إنه أطول مما تتذكر. كيف تمكّن من عبور الغرفة بهذه السرعة وبصمت؟

انحنى فوقها وحدّق فيها بعينين ضيقتين: «سبق أن دفعت... ولن أدفع المزيد. كل ما لديك لتقدميه سيكون مجاناً».

الشعور بالإهانة جعلها تتصلّب وقالت وهي تجذب قبضة الباب بعنف: «ليس لدي ما أرغب في تقديمه لك. هلّا رفعت يدك عن الباب من فضلك؟».

تأملتها عيناه وتريثا على فمها ثم قال: «إذا بدّلت رأيك فاعلميني... لكن استخدمي أولاً هذا المال لشراء ملابس ذات مستوى أفضل».

وأبعد يده عن الباب ففتحته على اتساعه وخرجت منه كالعاصفة.

عندما وصلت إلى شقتها، دخلت وصفقت الباب. خرجت مارتينا من غرفة النوم، وهي ترتدي سروالاً من المخمل وكنزة حمراء اللون، وقد أمالت رأسها جانباً لتضع في أذنها قرطاً كبيراً.

قالت: «ها قد عدت! بدأت أقلق. كيف جرت الأمور؟».

- بشكل حسن.

رمت ايللي معطفها وحذاءها في الخزانة ثم دخلت إلى المطبخ: «رغم أني أفكر في توجيه رسالة إلى تلك المجلة التي جعلت من صورته غلافاً لها».

رمشت مارتينا التي تبعتها إلى المطبخ بعينيها: «أحقاً؟».

- نعم، لأخبرهم أنهم أخطأوا بحق غاريك ويسنوسكي.

أخرجت ايللي الشيك الذي حرره لها بخمسة آلاف دولار من حقيبة يدها ورمته في الدرج الذي أقفلته بعنف قبل أن تردف: «كان عليهم أن يسموه عازب شيكاغو البغيض».

* * *

لعلها ليلة الميلاد حيث تسيطر روح العيد على معظم سكان البلاد، لكن غاريك لم يكن يشاركهم مزاجهم الحسن. هذا اليوم بالنسبة إليه هو ذروة شهر مرهق تماماً.

كانت لوحة ليلي لايد، وهي مزحة طفولية من تيد جونسون في قسم التسويق، مزعجة. وقد شهدت تلك المرأة هرنانديز عملية التسليم بعد أن أخذت منه خمسة آلاف دولار ما أغاظه. لكن هذا كله لا يقارن بالعذاب الذي يعانيه الآن وهو يمضي ليلة الميلاد مع أخته دورين.

علّقت فيما الخادم يصب العصير في كأس غاريك: «ذهبت إلى حفل في النادي، نخبة المجتمع كانت موجودة: آل ميتشل، وآل برانويل، وحتى آل باليرمو. دعا حفيدهم انطوني كارين للرقص».

قالت كارين: «انطوني باليرمو كريه، فيداه رطبتان كجوارب الرياضة ورائحة أنفاسه كريهة».

كانت هذه أول كلمات تنطق بها الفتاة خلال تناولهم وجبة الطعام، فهتفت بها أمها: «كارين! ينبغي ألّا تتكلمي عن انطوني بهذه الطريقة. عائلة باليرمو هي من أثرى عائلات شيكاغو وأبرزها».

غرقت كارين مجدداً في صمت نكد دام حتى انتهاء الوجبة غير اللذيذة

وقادتهما دورين إلى غرفة الجلوس حيث تكدّست الهدايا تحت شجرة كبيرة مزينة باللونين الذهبي والفضي. سقطت كارين على ركبتيها وبدأت تمزّق الورق الذي يلف الهدايا، فيما سحب غاريك علبة رفيعة ومسطحة من تحت الشجرة وقدّمها لأخته.

جلست دورين في كرسي وفكّت الشريط المعقود بتحفظ مثير للإعجاب، مزيلة كل درزة بعناية من دون أن تظهر أيّ حماسة. لكن عندما رأت محتوى علبة المجوهرات، التمعت عيناها الرماديتان، الباردتين عادة وقالت: «آه!».

في الجهة الأخرى من الغرفة، صمت صوت تمزّق الورق وانضمت إليهما كارين لتختلس نظرة من فوق كتف أمها. هتفت وهي تحدّق في العقد المصنوع من الياقوت والزمرد: «يا إلهي! لا بدّ أنك انفقت ثروة يا خالي غاريك!».

زمّت دورين فمها: «كارين، لا تكوني عديمة التهذيب».

أحنت الفتاة كتفيها وعادت إلى الشجرة. وفتحت هدية أخرى... جهاز كمبيوتر محمول من غاريك. وضعته جانباً من دون أن يبدو على وجهها أيّ تعبير.

صاحت دورين التي لاحقت نظرتها ابنتها: «كارين... ماذا تقولين لخالك؟».

- شكراً لك خالي غاريك!

كان نبرة كارين خالية من الحماسة وهي محاطة بالهدايا التي فتحتها: ملابس، عدّة كرة مضرب، مزلاجان، مجوهرات، حقائب، أحذية، لكنها نظرت تحت الشجرة وهي تنتحب: «أهذا كل شيء؟».

حملقت دورين في ابنتها: «كارين، لا أحب نبرتك، أو التعبير الذي يعلو وجهك. إذا كنت عاجزة عن أن تظهري المزيد من اللطف فاصعدي إلى غرفتك».

- حسناً.

ودست الكمبيوتر تحت إبطها ثمّ توجهت نحو الباب.

قالت دورين بصوت عالٍ حتى قبل أن تخرج ابنتها من الغرفة: «لا أعلم ما مشكلة هذه الفتاة. قلت لها مراراً وتكراراً إنّ عليها أن تتصرف بتهذيب معك، علماً أني لا ألومها إذا ما خاب أملها. ما الذي دهاك لتشتري لها كمبيوتر؟».

راقب غاريك مقطباً ابنة اخته تغادر الغرفة قبل أن يجيب: «في عيد الشكر، سمعتها تقول إنها تريد كمبيوتر».

- ليتك تحدّثت إليّ أولاً. لدينا كمبيوتر. الفتيات في مثل سنّها يفضّلن هدايا أكثر أنوثة... كالمجوهرات.

فكّر غاريك في المحادثة التي سمعها في زيارته الاخيرة. كانت كارين تتحدّث عبر الهاتف وتقول للشخص عند الطرف الآخر إنها تريد كمبيوتر جديد بشدة، وقال: «أظنك تستخفين بكارين».

تشنّجت دورين: «أظن أني أعرف ما تحبه ابنتي وما لا تحبه أكثر منك. أنت بالكاد تعرفها».

وكان هذا صحيحاً. كان مقرّباً من كارين في صغرها... كانت ذكية ومسلية ومهتمة بكل ما حولها، لكنها تغيّرت عندما بلغت سن المراهقة. أصبحت أطول قامة، سمراء نحيلة ذات سحنة شاحبة وعينين بنيتين عدائيتين. ونادراً ما كان يرى تلك الطفلة الفضولية والمحبّة التي كانتها في صغرها. وتابعت دورين كلامها: «أخشى أن أصدقاءها الفظيعين يؤثرون سلباً فيها. والد إحدى الفتيات سائق شاحنة! ليتني أستطيع أن أرسلها إلى مدرسة لائقة بدلاً من تلك التي ترتادها الآن».

- يمكنك ذلك.

واتجه غاريك نحو الشجرة لينظر إلى كومة الهدايا التي خلّفتها كارين قبل أن يضيف: «يمكنها إذا ما أردت».

كادت دورين تسقط العقد من يدها، لكنها أمسكت العلبة بشدة وحملقت فيه: «أنت لا تعرف معنى أن يموت زوجك الحبيب وتضطر

للعيش في الفقر...».

- كفي عن ذلك يا دورين.

دفع غاريك المضرب برفق ثم انحنى والتقطه. سدد ضربة، فتأرجح المضرب الخفيف والمتوازن في الهواء. وتابع كلامه قائلاً: «طلّقك غرانت قبل موته بفترة طويلة، وقد دفع الكثير من المال ليتخلّص منك. لو كان ذكياً لجعلك توقّعين على اتفاق مالي قبل الزواج».

- ما كنت لأوقّع اتفاقاً كهذا... ولشعرت بالإهانة لو طلب مني ذلك، كما أني استحق كل فلس حصلت عليه من التسوية. ليس الذنب ذنبي إذا ما وقع في حب تلك القذرة. كان ينبغي أن أحصل على المزيد، لكني لم أحصل يوماً على حصة عادلة. أنظر وحسب إلى مصانع ويسنوسكي. ليس من العدل أن يترك لك أبي الشركة و... بالله عليك، هل أنت مضطر للعب بهذا المضرب.

- كانت الشركة مفلسة.

- إنه تراجع مؤقت ليس إلّا. الشركة تجني الملايين حالياً.

- وأنت تتلقين جزءً كبيراً من هذه الملايين، بصفتك أكبر مساهمة في الشركة. أنا أعلم هذا بما أنني أوقّع الشيكات.

نشقت بازدراء: «بالكاد أستطيع الحفاظ على مستواي مع هذه العائدات التافهة. لن يندرج اسمي في السجل الاجتماعي على هذا المعدّل».

- وما هو هذا السجل الاجتماعي؟

- إنه كتاب يضم اسماء نخبة المجتمع. الأناس المناسبون كأسرة باليرمو. أشخاص ذو خلفية معيّنة...

لم يصدّق غاريك ما سمعه: «جدّانا كانا فلّاحين مهاجرين من بولندا. أهذه هي الخلفية التي تتحدّثين عنها؟».

ارتعشت دورين: «السلف هو أحد الاعتبارات. ثمة طرق أخرى لإعلان الأهلية... كتأسيس جمعية خيرية لقضية نبيلة. أسست أثيل

مؤسسة من أجل الاوركسترا السمفونية».

- أنت تكرهين السمفونية.

تمسّكت دورين بذراعيّ كرسيها: «إن كنت لا تقدّر الموسيقى، فلا تفترض أنّ الآخرين...».

هزّ كتفيها بلا مبالاة: «حسناً، حسناً. إذا أردت التبرّع للسمفونية، فلا بأس. لكن لا تطلبي مني أن أقدّم أيّ هبة».

احمرّت وجنتاها وهي تقول: «ليس عليّ أن أطلب منك، فهذا أقل ما يمكنك القيام به. تلك الصورة المقزّزة لك ولتلك... تلك الراقصة أسأت إلى موقفي أمام لجنة السجل الاجتماعي...».

- قلت لا يا دورين.

- حسناً، لن أجادلك، إذا لم تساعدني في تأسيس جمعية، فسأكتفي بنشاطاتي المعتادة مع رابطة النساء. هل أخبرتك أنّ نينا لاشلاند عضو في لجنة جمع تبرعات معي؟ أخبرتني الكثير عن أعمال زوجها، وأخبرتني أنّ مصانع ويسنوسكي تحاول شراء شركة لاشلاند، وهذا ما لم أكن أعرفه.

بقي مسترخياً في وقفته، لكنه تشنّج في داخله: «والمعنى؟».

- هل تعلم أنّ ثمة شركة أخرى مهتمة بشراء لاشلاند؟ زوجها لا يحب اوغرمارك كثيراً...

- آغرامارك.

- أوغرمارك، آغرامارك، لا يهم. لكنه قد يغيّر رأيه إذا ما اكتشف أنك تجد صعوبة في العثور على التمويل اللازم لإتمام الصفقة.

توقّف غاريك عن العبث بالمضرب وسألها بنعومة: «هل تحاولين ابتزازي يا دورين؟».

ابتسمت وردّت: «طبعاً لا. لست أدري لما تقول هذا».

لم يبادلها غاريك الابتسام، فشراء لاشلاند أساسي في خطته لتوسيع نشاط مصانع ويسنوسكي، وهو مصمم على الحصول على الشركة الصغيرة وعلى وشك أن ينجح في ذلك.

إذا لم تفسد دورين الصفقة...

كيف عرفت بشأن المشاكل التي يواجهها في ايجاد تمويل؟ رمقها بنظرة طويلةٍ وقاسية: «أحذّرك يا دورين. لا تتدخلي في أعمالي».

- الأعمال، الأعمال، الأعمال. أهذا كل ما تفكّر فيه. حان الوقت لتقوم بشيء ما من أجل أسرتك. هل أطلب منك الكثير؟ أنا لا أريد الكثير... يكفي أن تموّل لي مؤسسة خيرية.

سألها ساخراً: «أهذا كل ما في الأمر؟».

- في الواقع، لا بما أنك سألت. أريد أيضاً موظفاً من مصانع ويسنوسكي لمتابعة كافة التفاصيل... فأنا لا أستطيع ذلك بسبب صحتي الضعيفة.

كانت دورين قوية وبصحة جيدة، وبنيتها تشابه بنيته، مع يدين وقدمين كبيرة. في صغره، كانت ممتلئة الجسم وجذّابة للغاية. لكن، بعد أن تزوجت غرانت ترينغتون، فقدت الوزن الزائد في محاولة منها لتبدو أكثر «هشاشة وضعفاً». لسوء الحظ أنّ خسارة الوزن جعلتها تبدو قاسية وجلفة.

وتابعت كلامها: «أريدك أيضاً أن تتوقّف عن تخريب الجهود التي أبذلها لإدراج اسمي في السجل الاجتماعي. توقّف عن مواعدة نساء ذوات سمعة سيئة واعثر على فتاة لطيفة ومحترمة. فتاة مثل أمبر بلير. تحدّثت إليها بالأمس واتفقنا...».

سألها غاريك بهدوء تام: «علامَ اتفقتما؟».

- لا حاجة لأن تبدو كريهاً إلى هذا الحدّ. رأينا أنك تبدو... وحيداً.

اشتدّت قبضته على المضرب وهو يفكر في كافة الخطط التي وضعها والساعات التي أمضاها في العمل على مشروع شراء لاشلاند. ما أن يوقّع هذه الصفقة، حتى يتمكّن... حسناً، من الاسترخاء، لا ليس تماماً. لكن الضغط سيخف نوعاً ما.

لا يمكنه أن يخاطر بخسارة هذه الصفقة، لكنه واثق من أنه لن يدع دورين تعتقد أنها قادرة على التلاعب به كلما أرادت الحصول على شيء ما.

قالت دورين وهي تنقر بأظافرها المطلية على ذراع كرسيها: «المشكلة الوحيدة هي أن أثيل قد لا تتقبّل فكرة انشائي مؤسسة منافسة. يمكنها أن تكون حقودة أحياناً، حتى أنها قد تحول دون إدراج اسمي في السجل الاجتماعي. ربما ينبغي أن أبحث عن نشاط آخر أرعاه. نشاط ثقافي كالباليه أو الفن. الفن ذو المستوى. يمكننا أن نفتح صالة عرض على جادة ميتشغن أو ربما في ريفر نورث...».

- صالة عرض؟

- لعرض أعمال الفنانين الذين نرعاهم. بعض الشبان الموهوبين الذين ينصحنا بهم معهد الفنون، ليس أولائك الفنانين الحديثين بل شبان وشابات من ذوي الموهبة الحقيقية...

وتابعت كلامها لكن غاريك لم يكن يستمع إليها، إذ راح يتذكر المرأة التي أعادت له العقد... إليونور هرنانديز. ما الذي قالته؟ أعمل في معرض... متخصص في الفن المعاصر... لا تتردد في المرور بمعرضنا إذا ما أردت أن تشتري عملاً ذا مستوى أفضل.

إنها ساحرة صغيرة جشعة، بقدر دورين، لكنها ذات عينين زرقاوين لامعتين وصاحبة الفم الأكثر إثارة في العالم...

- لا أظن أني أبالغ يا غاريك. يمكنك أن تتحمّل مثل هذه الكلفة. لن يضرك أن تظهر بعض الكرم. أنا أختك الوحيدة...

- حسناً.

شهقت دورين وارتخى حنكها بطريقة أطاحت بالجهود التي بذلها جرّاح التجميل مؤخراً: «ستساعدني؟».

- هل لدي خيار آخر؟

- لا، ستضطر هذه المرة لأن تفعل ما أريده أنا.

أيّ رجل أعمال تعامل مع غاريك ويسنوسكي قد يخالجه الشك لا بل الارتياب، لإذعانه المفاجئ. لكن دورين اكتفت بالابتسام وهي تحلم باسمها مطبوعاً في السجل الاجتماعي.

لم تلاحظ حتى كيف أمسك شقيقها بالمضرب وسدد ضربة دقيقة ومميتة.

www.elromancia.com

٣ - عرض مغرٍ

- هذا أفضل عمل لك.

التمعت عينا توم سكارلاتي البنيتان خلف زجاجتي نظارته السميكتين والمستديرتين، وسأل: «أهذا ما تظنينه يا ايللي؟ قال شريكي في الغرفة إنها تبدو وكأن طفلاً في الثانية من عمره رسمها».

درست ايللي اللوحة التي أسندها الفنان إلى المنضدة. وعلى الرغم من أنه اتخذ منها نموذجاً إلّا أن النتيجة النهائية لا تحمل أيّ وجه شبه معها. كما أنّ الانحناءات الانسيابية والألوان الزاهية خلقت نوعاً من المساحة والتناسق الملفتين.

علّقت قائلة: «زميلك في الغرفة مهندس، ولا يعرف شيئاً عن الفن».

- هذا صحيح.

ونفخ توم صدره الضيق قليلاً قبل أن يردف: «في الواقع، أظن أنّ نتيجة «المرأة ذات الثوب الأزرق» جاءت جيدة. أكره أن أبيعها».

عرضت عليه: «إذا أردت، يمكنني أن أضع عليها علامة ليست للبيع، علماً أني واثقة من أنني أستطيع أن أحصل لك على سعر جيد».

مدّ توم يده ولامس طرف اللوحة برؤوسه أصابعه برفق وحنان. لكن يده سرعان ما سقطت إلى جانبه وقال متنهداً: «عليّ أن أبيعها. هددني مالك المنزل بالطرد. إنه رجل كريه، لا يفقه شيئاً عن الفن...».

قرع الجرس مع دخول أحدهم إلى صالة فوغل، فتوقف توم عن الكلام والتفت نحو الباب. استدارت ايللي بدورها وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة، لكنها سرعان ما جمدت عندما اكتشفت شخصية الرجل

الذي تقدّم نحوها.

غاريك ويسنوسكي.

ما الذي يفعله هنا بحق السماء؟ مرّ أسبوع على ذاك المشهد البغيض في مكتبه، وقد بذلت قصارى جهدها لتنساه، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير فيه بين الحين والآخر... كما فعلت حين زارت قريبها فنسنت في نهاية الأسبوع الماضي ورأت ابنته تنتعل الحذاء الرياضي الصغير الذي اشترته لها بمناسبة عيد الميلاد. وعندما رأت جدران مصانع ويسنوسكي الرمادية العالية عبر نافذة القطار وهي في طريقها إلى العمل منذ بضعة أيام، أو عندما فتحت الدرج هذا الصباح ليطالعها الشيك الذي رمته في داخله والذي لم تستطع أن تدفع نفسها لقبضه.

كلما فكّرت فيه، تذكرت العقد القبيح ووقاحته عندما اعادته له، ليكتسحها الغضب مجدداً.

قبضت على مفاتيح المعرض الموضوعة على الطاولة متمنية لو أنها أقفلت الباب. هل جاء إلى هنا ليقدّم عرضاً آخر وقحاً؟

همست لتوم وهي تتحرك من خلف الطاولة: «المعذرة».

سار توم نحو الباب وهو يهمس: «من الأفضل أن أرحل».

كبحت ايللي رغبتها في الامساك بذراعه والتعلّق به... لم تشأ أن تبقى وحدها مع غاريك ويسنوسكي. لكنها لا تستطيع أن تفعل هذا بتوم، فهو خجول للغاية، ورجال الأعمال الأنيقون والنافذون يرهبونه أكثر من سواهم.

هل يرتدي غاريك ويسنوسكي بزة طيلة الوقت؟ تساءلت عن هذا فيما هي تتقدّم منه. كانت ملابسه جهداً شجاعاً لإضفاء مظهراً متحضراً عليه، إلّا أنها لا تستطيع أن تخفي الميول الذكورية البدائية التي بالكاد يتمكّن من كبحها.

- مساء الخير سيد ويسنوسكي.

حافظت على نبرة مهذبة إنما باردة، لكن هذه المهمة لم تكن سهلة إذ

تحركت حواسها كلها بعد أن قرع جرس الانذار في داخلها. انتبهت لملابسها وهي عبارة عن كنزة حمراء من الكشمير تكاد تكون بالية، وتنورة سوداء قصيرة، وجوارب سوداء: «هل أستطيع أن أساعدك؟».

رمقها بنظرة مقيّمة... وخطر لها غاضبة أنه يخطط على الأرجح لإعطائها بعض النصائح بخصوص ملابسها. والتفت نحو صندوق زجاجي مليء بالقذارة وقال: «إني ألقي نظرة وحسب. إذن، هذا هو الفن العالي المستوى... مؤثر للغاية».

أغاظتها نبرته التهكمية. قلة من العامة ترى أو تقدّر الموهبة والابداع في الفن المعاصر. وغالباً ما يضحك الناس أو يظهرون الازدراء عندما يدخلون إلى صالة العرض للمرة الأولى. لكن، بعد أن تشرح لهم قليلاً عن القطعة الفنية وعن فكرة الفنان، ينظر معظمهم إلى العمل باحترام أكبر. لكنها لم تزعج نفسها بشرح أيّ شيء لغاريك ويسنوسكي. لِمَ عليها أن تضيّع وقتها؟ لا بدّ أنه جاء ليسخر منها. أليس لديه ما يفعله أفضل من هذا؟

لا، على ما يبدو. وتابع تحركه فتبعته عن قرب، وهي تحدّق في يديه الكبيرتين الموضوعتين خلف ظهره العريض... إنه ضخم للغاية، وأقرّت بضغينة في سرّها أنه يسير برشاقة، بحذائه الذي يكاد لا يصدر أيّ صوت على الأرض الخشبية الملمّعة.

نظر إلى مضخة مياه أثرية تستند إلى صندوق زجاجي مربّع مليء بمصابيح صغيرة، وارتفع حاجباه عالياً نحو شعره الداكن المسرّح إلى الخلف.

أغاظها تعبيره وكافحت لتبقى نبرتها مهذبة: «حان موعد الاقفال، يمكنك أن تعود في يوم آخر إذا أردت».

قال لها: «أحتاج لبضع دقائق إضافية فقط».

وأكمل جولته في صالة العرض بتمهّل وكأن الوقت كله متاح أمامه. تأمل الأعمال الفنية المختلفة، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة،

هي نفسها تلك الابتسامة التي رأتها حين كانت في مكتبه. وضحك عندما رأى منحوتة برتريس التي تمثّل صرصوراً ضخماً، لكنه حاول إخفاء الصوت بالسعال.

توقف أمام الطاولة يتأمل اللوحة التي تركها توم لتوه: «سأشتري هذه».

رمشت بعينيها متسائلة إذا ما أساءت فهمه: «أتريد أن تشتري المرأة ذات الثوب الأزرق؟».

- نعم.

ورفع حاجبه قبل أن يسأل: «هل من مشكلة؟».

- لا، لا... تفاجأت وحسب.

لعل كلمة ذهلت هي الوصف الأدق، وتابعت تسأله: «لِمَ تريد أن تشتريها؟».

- هل تسألين زبائنك كلهم عن سبب شرائهم لقطعة معينة؟

- لا أفعل هذا عادة، لكن معظم زبائني يحبّون الفن الحديث.

- وتظنين أني لا أفعل؟ لا تتسرّعي في الحكم عليّ.

وسحب محفظته من جيب معطفه وقدّم لها بطاقة اعتماده قبل أن يسألها: «هل يمكنك ايصال اللوحة إلى مكتبي؟».

لم تأخذ البطاقة من يده، بل قالت: «لوحة المرأة ذات الثوب الأزرق لا تناسب ديكور مكتبك. هل أنت واثق من أنك لا ترغب في عمل آخر... عمل يتناسب مع شخصيتك بشكل أفضل؟».

استقرت نظرتها للحظة على الصرصور الضخم، وتبعت نظرته نظراتها، فالتمعت عيناه، لكنها لم تستطع أن تعرف ما إذا كان ذلك مرحاً أم غضباً. وأملت أن يكون غاضباً، لكنه لم يسحب بطاقة الاعتماد وأجاب: «أفضّل هذه».

لم تصدّق أنه قدم إلى صالة العرض ليشتري لوحة وحسب، لكن حتى لو فعل، تمنت لو اختار عملاً آخر. لم تشأ أنّ يحصل على لوحة المرأة ذات

الثوب الأزرق. لن يقدّرها أبداً، هي واثقة من ذلك. فتحت فمها لترفض بيع اللوحة له، لكنها عادت وأطبقته.

ألم تقسم مؤخراً على أن تفكّر كامرأة أعمال؟ وأن تبيع لأي شخص يدخل من الباب؟ هل سيكون ضميرها مرتاحاً إذا ما رفضت بيع اللوحة في حين أنّ صالة العرض وتوم بحاجة ماسة للمال؟

أخذت بطاقة اعتماده بأطراف أصابعها وقامت بسحب المبلغ المطلوب قبل أن تجبر نفسها على أن تقول: «شكراً لك يا سيد ويسنوسكي، سنسلّمك إياها صباح الغد».

- ممتاز.

ونظر إلى ساعته ومن ثم إليها، مضيفاً: «آنسة هرنانديز، أود أن أناقش مسألة معيّنة معك، لكني أعلم أنك متلهفة لإقفال صالة العرض. هلّا تناولت العشاء معي بحيث نتمكّن من التحدّث؟».

تشنّجت. إذن، فقد جاء إلى هنا ليقدّم لها عرضاً!

- لا!

قال من دون حتى أن يرمش لرفضها: «الأمر هام ويتعلّق بصالة العرض».

سألته: «ماذا عن صالة العرض؟».

- تناولي العشاء معي وسأخبرك.

- لِمَ لا تخبرني هنا؟

- أنا لا أناقش الأعمال فيما معدتي فارغة.

ابتسامته زادت من شكّها. إنها من النوع الذي يجعل المرأة ترغب في أن تبادله الابتسام، ترغب في أن تفعل كل ما يطلبه... وهو يعلم ذلك!

أردف عندما لم تجب: «إن لم تكوني مهتمة فيمكنني أن أبحث عن صالة عرض أخرى».

واتجه نحو الباب.

- انتظر!

توقّف فيما عضّت هي شفتها، كانت تعلم أنه يتلاعب بها لكن فضولها أكبر من أن تقاوم، فدمدمت: «دعني أحضر قبعتي ومعطفي وأُقفل الباب».

لم يحضر بالليموزين الليلة بل بمرسيدس سوداء كبيرة ذات مقاعد جلدية ناعمة، لكنها لم تعر هذا الترف سوى القليل من الاهتمام.

سألته مجدداً فيما هو يقود السيارة: «ماذا عن صالة العرض؟ هل ترغب في شراء لوحة أخرى؟».

- ليس تماماً.

وانعطف متجنّباً كومة ثلج نثرتها الرياح في الشارع ثم أردف: «هل صالة العرض لك؟».

- لا، إنها للسيد فوغل.

- آه، ربما عليّ أن أتحدث إليه.

- ليس فعلاً، فقد تخلّى عن إدارة المعرض منذ وفاة زوجته. إنه رجل متقدم في السن وصحته ضعيفة، لهذا تركني أدير الصالة بالنيابة عنه. إنه يثق بي تماماً.

- أحقاً؟ إذن، لا داعي لأن أشعر بأيّ وخز ضمير.

نبرة صوته الجافة جعلتها تغضب، لكنه تكلّم مجدداً قبل أن تتمكّن من القيام بأيّ رد فعل: «أنا آسف، إنما عليّ أن أركّز على القيادة. سأشرح لك الأمر برمته على العشاء».

كان طلبه معقولاً، فالطريق غادر ومغطى بالجليد ومليء بالحفر، كما أنّ المطر المتساقط يجعل الرؤية سيئة. لكن، وعلى الرغم من هذه الظروف، لم تصدّقه ايللي تماماً.

في المطعم، اقتيدا سريعاً إلى طاولة يعلوها شرشف أبيض ناصع وأطباق من خزف وأكواب من الكريستال.

سألها: «هل أتيت إلى هنا من قبل؟».

- لا. إسمع، ما الأمر؟

www.elromancia.com

أخذ لائحة الطعام وقد ارتفع حاجباه: «هل أنت عديمة الصبر هكذا دوماً؟».

- فقط عندما يكون الشخص الآخر غامضاً ومراوغاً.

التمعت عيناه مجدداً بتلك الطريقة الغريبة، وظنت للحظة أنه سيتملّص من الإجابة مجدداً، لكنه قال بفظاظة: «أعمل على إنشاء مؤسسة فنية وأبحث عن فنانين لرعايتهم وصالة عرض لعرض أعمالهم. أظن أنّ فوغل ممتازة لذلك».

استندت ايللي إلى الخلف في مقعدها وحدّقت فيه فيما قلبها يخفق بعنف. مؤسسة... سيشكّل هذا فارقاً كبيراً بالنسبة إلى صالة العرض. يمكنها أن تستعين بمصورين فنيين وأن تضع إعلانات في مجلات فخمة، وتلفت انتباه النقّاد وجامعي الأعمال الفنية الذين قد يحوّلون فناناً مجهولاً مثل توم إلى شخص آخر. يمكنها أن تغيّر الإنارة، وأن تصلح المصعد وتقيم حديقة منحوتات على السطح تماماً كما حلمت...

وجاء النادل إلى طاولتهما. وفيما هو يشرح لهما وجبة اليوم، حاولت ايللي أن تكبح حماسها. تضم شيكاغو آلاف الصالات، وستصبح فرصة فوغل معدومة إذا ما تحدّث ويسنوسكي إليها. عليها أن تقنعه بأنّ فوغل هي أفضل خيار لمؤسسته.

عندما ابتعد النادل، انحنت مجدداً إلى الأمام وقالت بجد: «صالة فوغل هي المكان المثالي. نحن نبحث عن الأعمال غير التقليدية التي تمثّل مفاهيم وتستند إلى نظريات. لن ترى أعمالاً مماثلة في صالات العرض الأخرى. فنانونا مبدعون ومجددون للغاية. توم سكارلاتي على سبيل المثال، هو الرجل الذي رأيته في الصالة عندما جئت والذي رسم اللوحة التي اشتريتها. أنا آسفة لأني لم أعرفك إليه، لأنه خجول بعض الشيء. لكني أستطيع تدبّر لقاء بينكما في وقت لاحق...».

واقترب النادل مجدداً من طاولتهما، فحاولت ايللي أن تتحلّى بالصبر حتى ينهي عمله. وأخيراً، تمكّنت من أن تكمل كلامها: «أعتقد أن توم

يمكن أن يصبح قوة جديدة هامة في عالم الفن إذا ما تلقّى الدعم المناسب...».

قاطعها غاريك: «يبدو أنك شديدة الاعجاب بتوم سكارلاتي هذا...».

فردّت: «نعم، إنه لامع، عبقري على طريقته الخاصة...».

- هل هو صديقك الحميم؟

حدّقت ايللي في الرجل الجالس قبالتها، فبادلتها عينان رماديتان باردتان التحديق.

وقالت ببطء: «لا، ليس كذلك. إنما لما تسأل؟».

- من باب الفضول فقط، لا بدّ أن ثمة رجل في حياتك؟

- لا أظن أنّ هذه المسألة تعنيك، إنما لا.

وضعت كأس العصير من يدها ونظرت إليه مباشرة لتضيف: «لست مهتمة بإقامة أيّ علاقة حالياً».

ارتفعت زاويتا فمه لهذا الصد الذي بالكاد أخفته وسألها: «أتريدين التركيز على حياتك المهنية؟ لقد فاجأتني».

- لماذا؟

- معظم النساء يهتممن بالعثور على زوج أكثر من اهتمامهن بحياتهن المهنية، مهما حاولن انكار ذلك.

لم تعجبها نبرته الساخرة أو انتقاده للنساء فقالت: «أحقاً؟ لقد عشت التجربة المعاكسة تماماً. معظم الرجال الذين قابلتهم يسعون يائسين للزواج، لا سيّما المتقدمين في السن... الأشخاص الذين هم في مثل سنك».

استقام قليلاً في جلسته وقال باقتضاب: «أنا في التاسعة والعشرين من عمري».

- آه؟

وأحنت رأسها لتخفي ابتسامتها، ثمّ أمسكت بكأسها ورفعتها إلى

شفتيها.

ساد الصمت لبعض الوقت ثم قال: «أنا متأكد من أني لا أكبرك بسوى سنة أو اثنتين».

اعترفت ايللي قائلة: «أنا في الرابعة والعشرين».

وانزعجت لأنها كشفت ولو هذه المعلومة الصغيرة الشخصية عن نفسها، فعادت إلى الأعمال: «بالنسبة إلى صالة العرض...».

هزّ رأسه: «لا حاجة لأن تخبريني المزيد عنها، لقد اتخذت قراري واخترت فوغل».

ظنت للحظة أنها لم تسمعه جيداً. لكنها وفي الوقت نفسه أدركت أنها سمعت جيداً ما قاله. وتفجّر الفرح في داخلها. فوغل في أمان! لقد أنقذت الصالة. أرادت أن ترقص على الطاولة، أن تغني بأعلى صوتها، أن تتطاول لتطبع قبلة على خدّ غاريك ويسنوسكي...

بدا وكأنه استطاع أن يقرأ أفكارها إذ انحدرت نظرته لتستقر على شفتيها.

وتوقّف الاحتفال الذي أقامته في ذهنها فجأة. لقد نظر إلى فمها بهذه الطريقة في مكتبه، مباشرة قبل أن يطلب منها أن تتصل به إذا ما أرادت أن «تقدّم» له شيئاً ما.

استندت إلى الخلف في مقعدها فيما ذوت ابتسامتها. ما الذي يجري هنا؟ هذا غاريك ويسنوسكي النذل البغيض الذي اصطدم بها في الشارع وأوقعها أرضاً ثم أهانها بوقاحة حين جاءت إلى مكتبه. غاريك ويسنوسكي، رجل الأعمال المتكبّر، المحب للمال الذي لا يقدم على أيّ عمل من دون أن يحسب ما سيجنيه من فائدة. ما الأمر؟

نظراً للطريقة التي ينظر بها إلى فمه، ظنت أنها تعرف تماماً غايته. وعاد النادل حاملاً المزيد من الطعام، فانتظرت ايللي حتى رحل لتسأل بهدوء: «وما الذي تريده في المقابل؟».

وضع غاريك بعض الطعام في فمه وراح يمضغه لما بدا لها كربع قرن ثم

أجاب أخيراً: «هذا سؤال غريب. لِمَ ينشئ الناس مؤسسة فنية؟».

- لأنهم يحبون الفن.

- وأنت تظنين أني لا أحبه؟

قدّم لها طبق الخضار المطهوة فهزّت رأسها رافضة فيما أردف قائلاً: «قلت لك ألّا تتسرّعي في الحكم عليّ».

ها هو يتهرّب من الإجابة. لماذا؟

- لِمَ اخترت صالة عرضي؟ أنا حتى لا أعجبك.

رفع حاجبيه: «من أين أتتك هذه الفكرة؟».

- لم تكن مهذباً تماماً حين أعدت لك العقد.

- أعتذر لتصرفي ذاك. فالنساء اللواتي يسألن عني، يخفين دوماً هدفاً آخر.

خمّنت ايللي: «أيسعين لأن تظهر صورتهن في الصحف؟».

- إنهن يسعين للزواج.

راحت ايللي تعبث بمحتويات طبقها وهي تفكّر في أنّ الرجل المسكين يعاني من مرض نفسي خطير هو الارتياب المرضي. وأخيراً، قالت: «أقسم أني لا أرغب في الزواج بك».

ابتسم ابتسامة لا تخلو من السخرية وقال: «لهذا السبب اخترت صالة عرضك... أنت صادقة بما يكفي لتعترفي بأن المال هو ما يهمك».

فتحت فمها لتعترض لكنها عادت وأطبقته. شكّت في أن تتمكّن من جعله يغيّر رأيه... وإذا ما حاولت، فسيتهمها على الأرجح بأنها تحاول ايقاعه في شباكها أو سيلصق بها أيّ تهمة سخيفة أخرى. وبدلاً من ذلك سألته: «ما الذي ستفعله هذه المؤسسة تحديداً؟».

- المعتاد. معارض... وما شابه، أعتقد أنك تسمّين ذلك تقديم فناني المعرض للجمهور. سأرسل موظفة إلى صالة العرض غداً. ستعمل معك ويمكنك أن تقولي لها كل ما ينبغي فعله. كما أريدك أن تعملي معها للتحضير لإعادة افتتاح الصالة، ولإقامة مزاد صامت على أن يُقام في

منزل أختي. أتوقّع منك أن تختاري الأعمال طبعاً.

ارتشفت ايللي القليل من الماء، وهي تفكر في الفنانين الذين ستختارهم. فيما تابع غاريك حديثه: «أتوقّع منك طبعاً أن تحضري المزاد. ولا بدّ من أن ترافقيني إلى حفل الأوركسترا السمفونية هذا السبت...».

- الاوركسترا السمفونية!

وضعت الكأس من يدها وأردفت: «فهمت بشأن المزاد الصامت لكن لِمَ الاوركسترا السمفونية؟».

- سأعرّفك إلى بعض الأشخاص الذين يهتمون بجمع الأعمال الفنية. سنجد البعض منهم في الحفل الموسيقي.

- لِمَ لا تحضرهم إلى صالة العرض؟

- أنا أدير شركة وليس لديّ الوقت لأدير شركة نقل.

ما قاله منطقي... تقريباً. خطر لها أنّ مسألة الجمعية برمتها خدعة. إنما ما الغاية منها؟ أن يقيم علاقة معها؟ بدا هذا بعيد الاحتمال. إنه غني... وهو جذاب نوعاً ما. لا بدّ أنه قادر على إيجاد امرأة تتغاضى عن شخصيته الفاسدة من دون أن يتكلّف هذا العناء كله. لعله يبحث عن طريقة لخفض الضرائب التي يدفعها، أو لعله فنان محبط ويحتاج لمكان يعرض فيه أعماله... وارتجفت يدها عندما خطرت لها فكرة مروّعة فكادت تريق الماء على الطاولة.

- تلك اللوحة التي رأيتها في مكتبك...

حاولت أن تتكلّم بنبرة طبيعية، رغم أنّ أحشاءها ترتجف ذعراً: «لوحة ليلي لايد... هل أنت من رسمها؟».

بدا مذهولاً وأجاب: «يا إلهي، لا. لِمَ تطرحين هذا السؤال؟».

ردّت كاذبة وهي تستند إلى الخلف لتدع النادل يرفع صحنها: «ما من سبب».

استندت ظهرها إلى الخلف وقد خف ذعرها وإن لم يختفِ تماماً.

قالت: «لديّ بعض الشروط لأوافق على عرضك».

- ما هي؟

- أولاً، تبقى لي الكلمة الأخيرة في توجّهات فوغل وفي كافة القرارات. ما من عمل يُعرض من دون موافقتي.

- لا بأس. لا أريد أن أغيّر شيئاً في الصالة، إنها ممتازة كما هي.

تأملت تعابير وجهه لكنها لم تستطع أن ترى أيّ سخرية في صوته أو في وجهه: «ثانياً، هذا عمل فقط».

- طبعاً. ماذا يمكن أن يكون خلاف ذلك؟

قطّبت لكنها اكتفت بأن تقول: «إذن، هل تقبل بهذه الشروط؟».

- أهذا كل ما في الأمر؟ ألا تريدين اسمَك في السجل الاجتماعي؟

حملقت فيه وقالت: «عفواً؟».

- لا تأبهي. نعم، أرضى بشروطك.

فقالت برزانة: «إذن، أنا أرضى بعرضك».

- شكراً لك.

لم تستطع أن تكبح الابتسامة التي ارتسمت على وجهها عند سماع نبرته الساخرة. وبادلها الابتسام فشعرت بذاك الارباك السار نفسه الذي شعرت به حين التقته للمرة الأولى.

أخمدت هذا الشعور على الفور وذكّرت نفسها بأنّ من يجلس قبالتها هو غاريك ويسنوسكي. يمكنه أن يكون ساحراً إذا ما أراد، لكن هذا لا يغيّر واقع أنه يجسّد الغطرسة والغرور. وعلى الرغم من أنه وافق على شروطها، إلّا أنها لا تثق به. لم تستطع أن تمنع إحساسها بأنّ لديه هدفاً مبيّتاً لم يطلعها عليه. إنه يخطط لشيء ما. لكن ما هو؟

٤ - من أجل ماله!

كان غاريك يكره الحفلات الموسيقية التي تقيمها الأوركسترا السمفونية. وعندما يشعر بأنه مضطر لحضور إحداها، كانت ترافقه دورين أو أمبر اللتان لا تستمتعان بها مثله. كانت أمبر تدّعي أنها تحب الموسيقى لكنها تبدو دوماً مهتمة بتأمل أرجاء القاعة من مقعدها في البلكون أكثر من اهتمامها بما يجري على المسرح. أما دورين، فتغفو في منتصف الحفل ويتمايل رأسها بتناغم مع العزف على الناي.

لذا، شعر بشيء من الصدمة حين اكتشف أنّ اليونور لا تستمع إلى الموسيقى وحسب بل تستمع إليها بتركيز شديد.

حدّق فيها وهو مقطّب تقطيبة خفيفة. بدت قصيرة جداً وهي تجلس إلى جانبه في القاعة المظلمة، إذ بالكاد وصل رأسها إلى أسفل فكه. بدت ناعمة وهشّة بقدر أوتار الكمانات التي تعزف على المسرح...

لكن ظهرها كان مستقيماً كعصا قائد الأوركسترا. لم تجرِ الأمسية كما توقّع تماماً. عندما مرّ لاصطحابها أدهشته بمظهرها، من أعلى خصلات شعرها المسرّحة بعناية إلى الثوب الضيق الفضي الذي احتضن مفاتنها. بدت فاتنة للغاية.

أعرب لها عن رأيه، لكن صوته خرج مرتعشاً كمراهق يخرج في موعد للمرة الأولى، ما أزعجه.

ردّت بهدوء، لا بل ببرود: «شكراً لك».

وحافظت على لامبالاتها حتى جلسا في مقعديهما وبدأت الموسيقى تصدح. عندئذ، اختفى عدم اكتراثها تماماً. أضاء النور المنعكس من

المسرح تعابير وجهها، فراقبها فيما عيناها تلتمعان كلما دوّت الأبواق الفرنسية وشفتاها ترتعشان كلما عزفت الكمانات. بدا أنّ النغمات الموسيقية والنغمات المتآلفة التي لا تعني له شيئاً تسحرها بشكل لا يستطيع فهمه أبداً. وعندما أُنزل الستار معلناً الاستراحة، بقي وجهها يشعّ حتى لاحظت أنه ينظر إليها. عندئذ، عادت تعابيرها باردة وقالت فيما هو يرافقها إلى البهو: «لطالما أحببت قائد الأوركسترا هذا بالذات. يمكنه أن ينتزع الموسيقى من أيّ فرقة كما لا يفعل أحد سواه».

- تبدين خبيرة.

هزّت كتفيها فلفتت الحركة انتباهه إلى كتفيها الناعمتين اللتين لا يغطيهما سوى نسيج رقيق. وتابعت تقول: «في الواقع، لم أحضر حفلاً موسيقياً للاوركسترا السمفونية منذ وقت طويل. استمع إليها أحياناً عبر الراديو. هل تأتي إلى هنا غالباً؟».

- من حين إلى آخر.

كان الضوء المنبعث من الشمعدان ينعكس على ثوبها فيجعله يتلألأ، ما جعله يجد صعوبة في التحديق فيها، كما يفعل العديد من الرجال بحسب ما لاحظ.

وضع يده على مرفقها وقادها نحو المقصف: «بعض الأشخاص الذين أتعامل معهم يرعون الأوركسترا السمفونية، وعليّ أن أحضر إلى هنا من حين إلى آخر. هل ترغبين في بعض العصير؟».

رمقته بنظرة وسألت: «هل تقوم بأيّ عمل من أجل المتعة والمرح فقط؟».

بدت مستنكرة وفضولية في آنٍ معاً، فأجابها: «ما من وقت للمرح إذا أردت النجاح في العمل. نحن نتنافس لنبقى على قيد الحياة في هذا المحيط القاسي لكن المكافأة ضخمة».

أخذت منه كأس العصير لكنها لم تشرب: «أتعني المال؟».

أومأ برأسه.

زمت فمها في حركة نفور جعلت نظرته تتجه نحو شفتيها، لكن وقبل أن تتمكّن من النطق بأيّ كلمة ناداه صوت مدوٍ باسمه. التفت ليرى اثيل باليرمو تشق طريقها بين الجموع، وهي تجر خلفها زوجها الخنوع جورج. تنهّد في سرّه، وقدّم لها اليونور، لكن أثيل لم تعرها سوى القليل من الاهتمام.

سألته: «هل أختك هنا؟».

- لم أرها.

أصدرت اثيل صوت استنكار قبل أن تردف: «تحدّثت إليها بعد ظهر هذا اليوم. قالت إنها ستقوم برحلة بحرية في الغد وعليها أن تنهي توضيب أمتعتها. ذكّرتها بمدى أهمية دعم الاوركسترا السمفونية، فقالت إنها ستبذل قصارى جهدها كي تحضر».

فقال غاريك: «لعل دورين أصيبت بالصداع كعادتها. إنها تصاب بالصداع غالباً كما تعلمين».

لا سيّما حين تواجه فكرة تمضية ثلاث ساعات في الاوركسترا السمفونية.

عدّلت اثيل تاج الماس الذي وضعتها على شعرها الخفيف، الرمادي اللون، ثم تفحّصت اليونور بعينين ثاقبتين وقالت: «اليونور هرنانديز؟ لم أسمع بك من قبل».

ردّت اليونور بابتسامة سهلة: «ما من سبب يجعلك تسمعين بي».

وتابعت حديثها مع المرأة المسنّة بدماثة ما فاجأ غاريك. وبعد بضع دقائق، راحت اثيل تخبر «ايللي» عن ابنائها الثلاثة العاقين وابنتها مصدر خيبات أملها المتكررة، وعن أحفادها العشرة، وهم وسيمون وأذكياء وموهوبون جميعاً. وعندما ذكرت اثيل أن الأكبر سناً يظهر موهبة فنيّة مميزة، أتت ايللي على ذكر خبرتها في صالة العرض وتحدثت عن طرق تشجيع الطفل.

قالت بجدّية: «على الرغم من أنّ الموهبة تأتي غالباً بالوراثة، إلّا أنه لا

بد من تنميتها. هل أنت أو زوجك موهوبان؟».

أومأت اثيل: «لطالما أحببت الفن وجورج يعزف على الكمان».

التفتت ايللي نحو جورج والابتسامة تضيء وجهها: «أتعزف فعلاً؟ أبي كان يعزف أيضاً. ما رأيك بالعازف المنفرد؟».

- رأيت أنّ ارتجاله كان ضعيفاً ويفتقر إلى الشغف.

- آه، لا! الشغف كان موجوداً، إنما مكبوحاً وحسب... رقيقاً جداً.

- رقيق؟

التمعت عينا جورج الزرقاوان الباردتان عادة، وظهرت خنّة صوته أكثر وهو يضيف: «لا بل معدوم، رأيت...».

وخطر لغاريك وهو يستمع إلى جورج يفضّل أداء الاوركسترا كلها بسعادة أنّه مجرد حظ أن تتمكّن ايللي من أن تسحر الثنائي الأكثر صعوبة في شيكاغو. لكن الأمر نفسه تكرر مع أسرة برانويل، الثنائي الأكثر تكبراً غرب الميسيسيبي، ومن ثم مع أسرة ميتشل، الثنائي الذي يخيف حديثهما المتشائم أشد الناس تفاؤلاً.

قال بنبرة حيادية عندما أصبحا وحدهما للحظة: «يبدو أنك تستمتعين بوقتك».

- نعم، فعلاً.

- لقد تعاملت بشكل جيد مع أسرة باليرمو. رأيت سيدات مجتمع قديرات يترنحن دائخات بعد لقاء واحد معهما.

سوّت وشاحها على ذراعيها قبل أن تقول: «وجدتهما مثيرين جداً للاهتمام».

- مثيران للاهتمام؟

لم يستطع أن يحول دون ظهور عدم التصديق في صوته، وتابع يسأل: «جورج واثيل باليرمو؟».

أمالت ذقنها قليلاً وردّت: «نعم... لِمَ لا؟ جورج خبير في مسألة

الاوركسترا السمفونية، واثيل تتمتع بنفاذ بصيرة مثير للاهتمام في ما يتعلق بعائلتها».

- وماذا عن عائلتي برانويل وميتشل؟ هل هم مثيرون للاهتمام أيضاً؟

أومأت برأسها ثم نظرت إلى شخص خلفه. التفت بدوره فرأى جاك فيليبس، وهو أحد معارفه القدامى، يقترب منه... ترافقه شقراء نحيلة وطويلة القامة، ترتدي ثوباً أسود من الساتان.

نادت أمبير بيلير بتودد: «غاريك، عزيزي! أين أنت؟ لم أرك منذ مدة طويلة!».

هزّ غاريك كتفيها بلا مبالاة ثم قام بتعريف القادمين إلى ايللي.

نظرت أمبير إلى ايللي من رأسها حتى أخمص قدميها بعدم اكتراث ثم التفتت مجدداً إلى غاريك: «لِمَ لم تعد تتصل بي؟ شعرت بوحدة شديدة».

- قلت إنك لا تريدين رؤية وجهي مجدداً.

- عزيزي... كنت أمازحك. يمكنك دوماً أن تتصل بي.

ومررت ظفراً مطلياً على صدره وهي تضيف: «في أيّ وقت تريده».

- آسف يا أمبير، لن يكون هذا ممكناً.

وراقب غاريك من زاوية عينه اليونور تبتسم لكلام قاله جاك قبل أن يضيف: «إني شديد الانشغال».

- مع الآنسة هرنانديز على ما يبدو.

التفت إلى ملامح أمبير الدقيقة والارستقراطية، وقال بصوت هادئ: «أنا أرعى مؤسسة فنيّة عبر صالة العرض حيث تعمل. علاقتنا مهنية صرف».

ابتسمت هازئة للحظة لا تتجاوز رمشة العين ثم عاد وجهها ناعماً وخالياً من أيّ تعبير: «فهمت».

وقرع الجرس مقاطعاً حوارهما ومعلناً استئناف الحفل، فبدأ الجمع يتحرك نحو أبواب المسرح.

- سرّني التعرّف إليك يا جاك.

وتلاشت ابتسامة ايللي الدافئة بعض الشيء حين التفتت نحو أمبير: «وأنت أيضاً يا آنسة بيلير».

حركت أمبير يدها بعدم اهتمام، وبالكاد أشاحت بنظرها عن غاريك: «عزيزي، عندما تتعب من... العمل والعمل، اتصل بي».

وابتعدت فيما رافق اليونور نحو أبواب المسرح.

كان صوت ايللي يماثل صوت أمبير برودة وهي تقول: «هل الآنسة بيلير صديقة عزيزة لك؟».

- ليس تماماً.

حاول أن يسرّع خطواتهما، لكن الحشد جعل ذلك مستحيلاً. وتابع كلامه قائلاً: «خرجنا معاً لبعض الوقت».

- لكنكما انفصلتما؟

- أصبحت جديّة... في توقعاتها.

- فهمت.

كانت نبرتها تماثل نبرة أمبير منذ بضع دقائق فنظر إليها بحدة.

بدت تعابير وجهها رقيقة وهي تقول: «أنت لاتريد أن تتخلّ عن لقب عازب شيكاغو الأشهر».

أجفل عندما قالت اللقب الغبي بصوت عالٍ وأجاب بحدة: «بالكاد».

أصدرت صوتاً خافتاً، ولم تبتسم لكنها أشاحت بنظرها بعيداً فقطّب قائلاً: «هذا ليس مضحكاً».

وافقته الرأي وهي تسعل: «لا، بالطبع لا».

- ذاك المقال الغبي ألحق بي الأذى أكثر مما يمكن لك أن تتخيّلي.

وتراجع إلى الخلف ليتيح لها فرصة التقدّم أمامه في الصف.

لم تتحرك، وقد اختفت الضحكة من عينيها ليحل محلها شعور مختلف، نعومة... تعاطف؟

لامست ذراعه بخفة: «لا بدّ أنّ المال يشكّل عبئاً مريعاً في علاقاتك».

تقلّصت عضلات ذراعه حين لمسته برؤوس أصابعها، كما رمش لكلماتها هذه. لطالما اعتبر المال ذا فائدة كبيرة: «لِمَ تقولين هذا؟».

همست فيما خفتت الأضواء وارتفع الستار: «من المريع أن تهتم بك النساء من أجل مالك فقط».

وتعالت الموسيقى، فركّزت انتباهها على المسرح فيما حدّق غاريك فيها متجاهلاً نفير الافتتاح. بدا جلياً أن أمبير لم تصدقه حين قال إن علاقته بايللي مهنية صرف، لكن هذا صحيح. لا يمكنه أن يهتم يوماً بشخص فاسد مثل اليونور هرنانديز... إنها تستخدم أيّ وسيلة لتصل إلى غايتها. لكنه لم يستطع أن يمنع شعوره بشيء من الانزعاج خلال النصف الثاني من الحفل الموسيقي، لأنها افترضت أن النساء لا يهتممن به إلا من أجل ماله.

٥ - صاحب النوايا الحسنة

في الأسبوع الثاني، اصطحب غاريك ايللي إلى مطعم فرنسي، فأجلسها النادل الذي يرتدي بذلة رسمية في قسم منعزل من المطعم تضيئه الشموع وتزيّنه الورود، ويطل على مشهد رائع لأفق المدينة. كان الديكور أنيقاً، والزبائن ذوي مستوى معين، والأسعار باهظة.

إنتاب ايللي شعوراً غريباً وهي تتناول سمك السلمون المطهو على الطريقة الفرنسية وتستمع إلى غاريك الذي أعطاها بعض التفاصيل عن المؤسسة الفنية. بدا جلياً أنه معتاد على الأفضل، ما يبشّر بالخير بالنسبة إلى المؤسسة. كانت متأكدة من انه سينجح، وينبغي أن يسعدها هذا كثيراً. وكانت لتسعد لولا أمر واحد... إنه هو!

نظرت إلى زوايا وجهه الحادة واستمعت إلى السلطة في صوته وهو يورد الوقائع والأرقام.

كان يتمتع بتلك الثقة بالنفس المتأتية عن علمه بأنه يستطيع أن يشق طريقه في العالم من دون مساعدة. وكانت لتعجب بهذه الميزة، وتحسده عليها حتى... لو لم تلتقِ صديقته السابقة. من الصعب أن يحسد المرء رجلاً كان على علاقة بامرأة ذات عينين باردتين وعديمتي الاحساس كعيني أمبير بيلير.

سألها بعد أن وضع النادل طبقي حلوى الشوكولا والتوت أمامهما: «هل من أسئلة؟».

خطر لها وهي تشيح بنظرها عن ملامحه القوية أنّ لديها ملايين الاسئلة. هل كل النساء اللواتي عرفهن يشبهن أمبير بيلير؟ هل ينظرن إليه

www.elromancia.com

كلهن كمستثمر يقوّم الأرباح التي قد يجنيها من شركة ما؟ هل هن كلهن كاللوحات، مسطحات واصطناعيات؟

ردّت وهي تعبث بشوكتها: «لا».

- تلقيت تقرير المساعدة. قالت إنك كنت منشغلة للغاية في الأسبوع الماضي.

أومأت ايللي برأسها فالتحضير للمزاد الصامت والمعرض تطلّب الكثير من الوقت. وقد تمكّنت من ترك عملها في تنظيف البيوت بما أنّ غاريك يدفع لها راتباً سخياً، لا بل سخياً للغاية. لم تستطع أن تتخلّص من شعورها بأن لديه هدفاً خفياً، وعلى الرغم من أنها حاولت مراراً أن تسأله إلّا أنه بقي يتهرّب منها. لم يكن من النوع الذي يكشف الكثير عن نفسه.

سألها: «هل تودين مراجعة أرقام الميزانية؟».

- لا، شكراً لك.

ارتفع حاجباه. فشعرت بأنها ملزمة بأن تقول: «لطالما فضّلت الفن والموسيقى على الرياضيات. الميزانيات تسبب لي الصداع».

سألها: «ألم تقولي إنّ مارتينا تدرس الأعمال؟ لعلها تستطيع أن تدرس الأرقام بدلاً منك».

التقى قريبتها حين مرّ لاصطحاب ايللي في وقت سابق من هذا المساء، وبدا أنهما اتفقا على الفور. وقد همست مارتينا في أذنها قبل أن يغادرا: «من الأفضل أن تختطفيه سريعاً يا آل وإلّا ستفعل امرأة أخرى ذلك. ليتني لم يكن لديّ صديق!».

رفعت ايللي شوكتها وهمست لغاريك قبل أن تتناول بعض الحلوى: «هذا ليس ضرورياً».

- أتظنين أنها لن تكون قادرة على فهمها؟

صفرت ايللي على الفور: «أنا واثقة من أنها قادرة على ذلك. ستتخرج في شهر حزيران، قبل سنة من موعد تخرجها المفترض. إنها لامعة».

ابتسم لدفاعها عن مارتينا لكنه لم يتابع مناقشة موضوع الميزانية بل قال: «قالت مارتينا إنك من فيلادلفيا».

- هلّ فعلت هذا؟

ما الذي قالته قريبتها أيضاً؟

- هل ما زال والداك يعيشان هناك؟

- توفيا في حادث سيارة عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري.

قال بهدوء: «أنا آسف. لا بدّ أنّ الأمر كان صعباً عليك».

أشاحت بنظرها عن نظرته الثابتة وراحت تتأمل عبر النافذة أضواء المدينة التي تتلألأ في الليل الداكن، البارد. لم تشأ أن يتعاطف معها، فعادت تلتفت إليه وقد أجبرت نفسها على الابتسام قبل أن تقول: «لحسن الحظ أنه كان لديّ أقارب. ماذا عن عائلتك أنت؟».

- توفي والدي منذ ثماني سنوات على أثر نوبة قلبية. تزوجت أمي مجدداً وانتقلت إلى فلوريدا ونادراً ما أراها. لم يعد هناك سوى أنا وأختي وابنتها البالغة من العمر خمسة عشر عاماً.

انقطعت أنفاسها. لم تشأ أن تشعر بأيّ تعاطف معه، لكن من المستحيل ألّا تفعل. لقد أورد الوقائع من دون أن يبدي أيّ تأثر تماماً كما فعلت، لكنها كانت تعلم مدى الألم الذي يخفيه خلف الواجهة الظاهرة.

سألته وهي تقاوم رغبة حمقاء في أن تمد يدها عبر الطاولة لتلامس يده: «هل أنت مقرّب من شقيقتك وابنة أختك؟».

هزّ كتفيه بلا مبالاة: «ليس لديّ الكثير من الوقت، فأنا منشغل دوماً بالعمل».

كان ينبغي لرده أن يمحو أيّ أثر للتعاطف، لكنه لم يفعل. بعد وفاة والديها، عاشت مع جدها، لكنها اعتادت أن تتصل بخالتها وخالها وأقاربها كل يوم وأن تمضي عطلة الصيف معهم. لقد ملؤوا فراغاً رهيباً في حياتها.

يبدو أنّ عمل غاريك قام بهذه المهمة بالنسبة إليه. لكن هذا هو

خياره، كما ذكّرت نفسها. كان بإمكانه أن يختار التقرّب من أخته وابنتها. قالت له بهدوء: «يجب أن تجد الوقت اللازم لذلك».

ارتشف قهوته: «أتفكرين في كتابة عمود نصائح في المجلة؟».

تجاهلت سخريته: «أظن أنه من الخطأ تقديم العمل على العائلة».

- ماذا لو كانت عائلتك تعتمد عليك لتعملي وتكسبي المال؟

عبست: «شقيقتك وابنتها يعتمدان عليك مادياً؟».

- ليس تماماً. أنا أتكلم افتراضياً.

- كل وضع يختلف عن الآخر. كل واحد منا يقوم بخياراته الخاصة.

همس بجواب ملتبس لا يوضح موقفه: «أخبريني المزيد عن عائلتك».

شكّت في أن يكون مهتماً فعلاً، لم تشأ أن تجرجر للحديث عن جدها وأبيها وتفاصيل نفورهما من بعضهما البعض، لكنها أخبرته عن زوج خالتها رودريغو وخالتها آلما وأولادها الستة. الأولاد الثلاثة الأكبر سناً متزوجون ولديهم أولاد.

وتابعت كلامها: «وهناك مارتينا، ومن ثم روبرتو وآليسا. آليسا في مثل سن ابنة أختك... ستبلغ الرابعة عشرة من عمرها في آذار».

- منذ متى وأنت تعيشين في شقة واحدة مع مارتينا؟

- منذ حوالى عام. عندما انتقلت إلى شيكاغو كنت مفلسة وما من وظائف كثيرة ذات أجور عالية لخريجي تاريخ الفن...

- أتحملين شهادة جامعية؟

- نعم، دبلوم. لِمَ تبدو متفاجئاً إلى هذا الحد؟

- ما من سبب. هل لا يزال قريبك روبرتو في الثانوية؟

- لا، تخرّج العام الماضي.

في الوقت المناسب ليدخل السجن، لكنها لن تخبر غاريك بذلك. وأردفت: «إنه لطيف للغاية. إنه يأخذ رجوليته أحياناً على محمل الجد أكثر مما ينبغي، لكنه صاحب أطيب قلب في العالم. تجده يتصرّف بتهور أحياناً، لكن نواياه حسنة دائماً. وهو يحاول حمايتي دوماً».

- وهل تحتاجين للحماية؟

- لا، بالطبع لا. إلّا أنّ روبي يظن ذلك. ربما بسبب...

وسكتت وقد اغتاظت من نفسها لأنها أكثرت من الكلام، فسألها: «بسبب رايف؟».

استقامت في جلستها: «كيف علمت بأمره؟».

- قالت مارتينا إني أعتبر تحسناً كبيراً بعد رايف. أظنه صديقك السابق؟

عليها أن تتحدّث إلى مارتينا، هذا مؤكد. وأجابت: «أحضرته معي من شيكاغو للقاء الجميع. مارتينا وروبي لم يحباه وتبيّن لاحقاً أنهما محقان».

- هل فطر قلبك؟

- لا، جعله قاسياً بعض الشيء.

وشعرت بنظرته على وجهها، فأضافت بخفة خوفاً من أن يطرح عليها المزيد من الأسئلة: «لا بدّ من أن يعيش كل واحد منا قصة حب فاشلة واحدة على الأقل، حتى أنت».

بدا عليه التفكير لبرهة، فإما أنه عاش العديد من القصص الفاشلة بحيث لا يتذكر عددها وإما أنه لم يعرف الحب يوماً. وتساءلت ما هي الحقيقة.

وأخيراً، قال: «إنها مونيكا الكسندر. كنت مغرماً بها إلى حد الجنون».

- ماذا حصل؟

- تخلّت عني حين توفي أبي وأعلنت شركته إفلاسها. اضطررت لترك الجامعة لتصحيح مسار الأمور.

جمدت مكانها وراحت تراقبه بعينين واسعتين: «هذا فظيع».

بدا غاريك متسلياً: «لم تكن مأساة. في الواقع، لعل هذا أفضل ما حصل لي، إذ تمكّنت من التركيز على العمل».

- لا بدّ أن تصرّفها آلك للغاية... لا سيّما وأنك كنت بأمسّ الحاجة إليها.

هزّ كتفيه بعدم مبالاة: «لقد تجاوزت المسألة».

هذا واضح. لكن ما الثمن؟ هل هذا ما جعله يبدو ساخراً، كما يظهر على ملامحه بشكل جليّ الآن؟ هل هذا ما جعله يفقد إيمانه بالناس... لا سيّما النساء؟

انتهت الوجبة، فأعادها إلى المنزل ورافقها إلى عتبة شقتها. قال: «يقيم معهد الفنون افتتاحاً خاصاً لمعرضه الجديد غداً مساءً. تمكّنت من الحصول على بطاقتين. سأمر لاصطحابك عند الساعة السابعة».

خطر لإيللي وهي تتوقف أمام الباب أنها طريقة لنسج شبكة من العلاقات، ولتمضية المزيد من الوقت مع غاريك: «ألم يكن الحفل الموسيقي كافياً؟».

- ظننت أنك تحبين المعارض الفنية.

إنها تودّ الذهاب رغم شكّها الخفيف في أهدافه. لكن هل يمكنها أن ترفض؟ وابتسمت له: «حسناً، شكراً».

ضاقت نظرته قليلاً وهي تتأملها. فسألته وقد ارتعشت ابتسامتها: «ما الأمر؟».

- ثمة ملح على معطفك. اجمدي مكانك.

نظرت إلى الأسفل فرأته ينفض شيئاً رمادياً عن طرف معطفها.

تمايلت قليلاً فوضع يده على كتفها ليثبّتها مكانها فيما أصابعه المغطاة بالقفاز تنحدر على طول وركها لتزيل الآثار الأخيرة، بلمسة خفيفة، سريعة، فعّالة وغير شخصية. أطلقها عندما انتهى ورحل بعد أن ألقى عليها تحية المساء.

راقبته حتى صعد إلى السيارة وانطلق منها مبتعداً، فدخلت إلى شقتها وقد تملّكها شعور مرتبك.

٦ - الفرصة الذهبية

كانت ستايسي هاتفيلد، الموظفة التي عيّنها غاريك للعمل على موضوع المؤسسة ذكية ومتحمسة وصغيرة جداً في السن... فبالكاد بلغت الثامنة عشرة من عمرها. وكانت ايللي لتستمتع بالعمل معها لولا مسألة واحدة فقط... وهي أنّ الفتاة مغرمة بغاريك ويسنوسكي.

كانت مشاعر ايللي تزداد إرباكاً وتشوّشاً خلال الاسبوع ونصف الأسبوع الماضيين. اصطحبها غاريك إلى معرض فني ومسرحية ومباراة كرة سلة كما تناولا العشاء معاً مرات عدة. وبقيت تذكّر نفسها بأنّ علاقتهما علاقة عمل وحسب، لكنها أحياناً كانت تنسى ذلك للحظة أو اثنتين. وراحت تستلقي في سريرها فتبقى مستيقظة تفكر فيه طيلة الليل، وتبقى أفكارها تدور وتدور حتى أقسمت ألّا تفكّر فيه أبداً. ألّا أنّ الحفاظ على قسمها صعب بوجود ستايسي التي لا تنفك تتحدّث عنه باستمرار. حاولت إيللي أن تفرّ من أحاديث الفتاة في صالة العرض عبر اللجوء إلى الطابق العلوي، إلى المكان المخصص لوضع أطر اللوحات، لكن ستايسي أغلقت كمبيوترها المحمول ولحقت بها.

قالت ستايسي فيما أناملها تعمل بسرعة البرق على لوحة المفاتيح: «السيد ويسنوسكي هو أفضل رب عمل عرفته. ولكن الكل في الشركة يرى أنّ السيد ويسنوسكي هو الأفضل. إنه كريم جداً. قلت له إنّ أجرك قليل جداً فوعدني بأن يضاعف راتبك».

رفعت ايللي المذهولة نظرها عن قطعة الخشب الطويلة والرقيقة التي كانت تدّعي أنها تتفحّصها وقالت: «ستايسي، لا يمكن أن أقبل بهذا!».

- بل يمكنك. أنت تستحقين الزيادة، فقد عملت بجهد.

هذا صحيح. إذ عملت لساعات طويلة، لكن القبول بهذه الزيادة على الراتب لا يبدو تصرّفاً سليماً.

لو منحها السيد فوغل هذه الزيادة لما اعترضت لكن غاريك...

سألتها ستايسي: «هل أمضيت وقتاً ممتعاً؟».

جلست ايللي أمام المنشار وقطعة الخشب في يدها ثم ردّت: «أمضيت وقتاً لطيفاً. جلسنا في الصفوف الأمامية وفاز فريق البولز».

لقد استمتعت بوقتها أثناء المباراة. إنما لاحقاً...

سألتها ستايسي وهي تواصل الطباعة: «هل ستخرجين معه يوم السبت. إنه يوم مولده. سيبلغ الثلاثين من عمره. إنه كبير، لكنه رائع بحيث أكاد لا آبه للعمر».

لم تكن ايللي على علم بعيد مولده. لِمَ لم يخبرها؟ سألت في محاولة منها لإلهاء الفتاة: «كيف تسير الأمور بالنسبة إلى المزاد الصامت؟».

- رائعة. الصور التي التقطها المصوّر الجديد عظيمة. كما التقط صورة للسيد ويسنوسكي ولشقيقته السيدة تارينغتون، ليرسلها إلى الصحف من أجل الدعاية. تفاجأت حين وافق السيد ويسنوسكي على ذلك فهو يكره كافة أنواع الدعاية.

عادة ما تكبح ايللي أيّ رغبة لديها في طرح الاسئلة عن غاريك، وقد حاولت الآن أن تكبت فضولها، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تقول: «أحقاً؟».

ولم تحتج ستايسي لمزيد من التشجيع فقالت: «منذ أن أُطلق عليه لقب العازب الأكثر شهرة والنساء تلاحقه. قرأت في إحدى المجلات أنّ إحدى النساء انتظرته في المرآب ثم قفزت على مقدمة سيارته وراحت تقبّل الزجاج الأمامي. كما دخلت امرأة أخرى إلى منزله وسرقت ملابسه الداخلية كلها وعرضتها للبيع. ما زلنا نتلقّى اتصالات من نساء كما أنّ بعضهن يأتي إلى المكتب بأيّ حجة على أمل اللقاء به».

انحنت ايللي إلى الأمام، فراح صوت المنشار يطنّ في أذنيها وهي تتذكّر فظاظة غاريك عندما اصطدمت به على الرصيف. ما الذي قاله في مكتبه في اليوم التالي؟ «إذن، فقد تمكّنت من تعقّبي».

ما زالت عاجزة عن مسامحته على فظاظته معها، لكنها تتفهمه، حتى أنها تتعاطف معه نوعاً ما... فهي تكره الصحافة أيضاً.

لم تشأ أن تُعجب به. لم تشأ أن تشعر به، إنما من الصعب ألّا تفعل. في المعرض الفني، لم تستطع أن تتجاهل يده التي وضعها على أسفل ظهرها ليقودها من لوحة إلى أخرى، وجسمه الذي يحميها من دفع الحشود. عندما اصطحبها للعشاء، شعرت بيديه على كتفيها فيما هو يساعدها على خلع معطفها. في المسرحية الكوميدية التي شاهداها، شتت تركيزها ضحكته العميقة والخشنة مرات عدة. وكأن هذا لا يكفي، نسيت أن تقفل أزرار معطفها قبل أن تخرج وفاجأتها هبة هواء باردة جداً، فشرعت تنزع قفازيها، لكنه أمسك بيديها وشدّها إلى مدخل يحميهما من الهواء، وقال: «سأقفل لك أزرار معطفك».

وسارع إلى إقفال الأزرار من الياقة حتى الحاشية. حاولت ألّا تترك قربه يؤثر فيها، وحاولت أن تتجاهل ذاك الشعور المألوف الذي يتشكّل في معدتها. تماماً كما حاولت بعد بضعة أيام، وفي مباراة كرة السلة ألّا تلاحظ كيف ينمو الشعر عند مؤخرة عنقه؛ وكيف يستمع إلى ما تقوله بصمت وتركيز؛ ورائحة الصوف والجلد الرجولية التي تلازمه؛ والتباين المسلّي مع رائحة الزهور التي تفوح من شعره.

عندما سألته عفوياً عنه الليلة الماضية بعد أن دعته لاحتساء القهوة في شقتها، قال إنه شامبو هدية من ابنة أخته. كان يجلس إلى جانبها على الأريكة، فوضع فنجانه على الطاولة على الفور. ورفع خصلة من شعرها وجعلها تنساب من بين أصابعه.

شعرت بوخزة في فروة رأسها كلها من جراء لمسته. واستمر في تمرير يده على شعرها، وراحت أصابعه تشق طريقها تدريجياً إلى عمق شعرها

الكثيف حتى لامست رأسها وأبقتها جامدة فيما هو يحدّق في فمها بنظرة داكنة وحادة.

انتفض قلبها في صدرها كما لو أنه يحاول الخروج وأدركت أنّ عليها أن تتراجع. أدركت أنّ عناقه سيفتح الأبواب أمام كافة أنواع المشاكل لكن الشعور الذي تفجّر في داخلها لم يتجاوب مع أيّ حجج. لم يكن شعوراً منطقياً أو معقولاً بل موجوداً وحسب. شعور حار ومتطلّب وضروري. عناق واحد... مجرد عناق واحد...

- ايللي؟ ايللي؟ هل من خطب في الإطار؟

خرجت ايللي من حالة الغشية التي كانت فيها لتجد ستايسي تحدّق فيها. وكررت بغباء قبل أن تتذكر: «الإطار؟».

ونظرت إلى الزاوية التي قطعتها مردفة: «نعم. أعني لا، أنا آسفة شردت أفكاري للحظة».

ارتسمت ابتسامة العارف على وجه ستايسي وقالت: «أفهمك. كنت لأصاب بدوار أنا أيضاً لو وقع غاريك ويسنوسكي في حبي».

شعرت ايللي بالاحمرار يلوّن وجنتيها. هذه الفتاة رومنسية جداً... وساذجة جداً. وقالت: «غاريك ويسنوسكي لا يحبني، نحن صديقان وحسب».

وانحنت فوق المنشار مجدداً وبيدها قطعة خشب أخرى. صديقان... كررت الكلمة في رأسها، كيف يمكنها أن تصف علاقتهما إن لم يكن بالصداقة؟ لم تعد علاقة عمل فقط، وهذا ما لا يمكنها أن تنكره. لكنهما لا يخرجان سوياً. لو كانا يفعلان، لعانقها الليلة الماضية عندما لم تحاول أن تمنعه.

لكنه أطلقها وتوجّه نحو الباب. شعرت بأنها مخبولة، مرتبكة. هل أساءت فهم النظرة في عينيه عندما تأمل فمها؟ لم تحب فمها يوماً. كان الأولاد في المدرسة يسخرون من فمها ويقولون إنّ شفتيها «مقلوبتان رأساً على عقب». لعله حدّق فيه بسبب شكله الغريب...

توقّف عند الباب والتفت إليها مقطّباً: «سأمر لاصطحابك نهار السبت، عند السابعة».

ثم شدّها إليه بشكل مفاجئ تماماً كما تركها، وعانقها عناقاً سريعاً قاسياً قبل أن يخرج من الباب.

ذاك العناق... كان موجزاً للغاية بحيث انتهى حتى قبل أن تدرك ما يفعله. ورغم ذلك لم تتوقّف عن التفكير فيه. عناق رايف الأكثر اتقاداً وشهوانية لم يؤثر فيها كما فعل عناق غاريك السريع.

قالت لستايسي بصوتٍ عالٍ: «لم أكن على علم حتى بعيد ميلاده. أنا لا أعرفه جيداً وهو أيضاً لا يعرفني».

فقالت ستايسي: «هو يعرف ما يكفي. وما الذي تحتاجين لمعرفته سوى أنه رائع؟».

ما الذي يفكر فيه، ويشعر به؟ ما رأيه بها؟

وقالت لستايسي: «هذا النقاش سخيف».

- سمعته يقول لشقيقته عبر الهاتف إنه يريد أن يعرّفك إليها قريباً...

انتفض قلب ايللي قليلاً، لكنها وبّخت الفتاة: «ينبغي ألّا تكرري ما تسمعينه».

تجاهلتها ستايسي: «شقيقة غاريك مهمة جداً بالنسبة إليه. سمعت أنّ العقد الذي اشتراه لها في عيد الميلاد كلّفه ثروة. ثمن الزمرد والياقوت باهظ للغاية».

وأومأت الفتاة برأسها تؤكد كلامها، لكن ايللي بالكاد لاحظت. هل اشترى ذاك العقد لأخته؟ لم يحدّثها كثيراً عن دورين تارينغتون، لكن لا بد أنه يهتم بها ليشتري لها قطعة المجوهرات الغالية تلك. لا شك في أنّ ذوقه مريع لكن هذه اللفتة تبقى لفتة لطيفة منه.

غاريك ويسنوسكي، لطيف؟

وتابعت ستايسي كلامها: «مبدئياً، أخته هي المسؤولة عن المؤسسة الفنية، لكن صحتها ضعيفة وهو لهذا لا يدعها تقوم بأيّ عمل. إنها تحب

الفن وقد أنشأ المؤسسة من أجلها».

انشقّت قطعة الخشب التي تحملها ايللي في يدها وسألت: «أحقاً ما تقولين؟».

ردّت ستايسي: «نعم، هذا ما أخبرتني به السيدة غريست، سكرتيرة السيد ويسنوسكي. قالت له أخته إنها تريد إنشاء مؤسسة لرعاية الفن فوافق السيد ويسنوسكي على تمويلها».

تذكّرت شكوكها حين اقترح غاريك أن يستثمر في صالة العرض. لِمَ لم يخبرها أنه يفعل هذا من أجل أخته؟

وتذكّرت كلاماً قاله لها: «يجب ألّا تتسرّعي في الحكم عليّ».

التقطت ايللي قطعة خشب جديدة وقالت ببطء: «هذا لطف... بالغ منه».

كان غاريك يعمل بجدّ بعد ظهر يوم الجمعة عندما رنّ الهاتف. رفع نظره بنفاد صبر، وعيناه تؤلمانه من قراءة الخط الصغير في العقد. ثمة رزمة من الوثائق يجب عليه الاطلاع عليها وتوقيعها لوضع اللمسات الأخيرة على شروط تمويل صفقة شراء لانشلاند، وهو يريد أن ينهي هذا العمل اليوم.

قال بإيجاز عبر الهاتف: «نعم؟».

أخبرته مساعدته: «السيدة تارينغتون هنا لرؤيتك».

دورين! نظر إلى العقد الذي وقّعه للتو. لم تنتهِ الصفقة مع لانشلاند، لكنه استطاع تأمين التمويل اللازم. ودورين لا تعلم هذا بعد، كما أنّ ورقتها الرابحة لم تعد تنفع.

ابتسم غاريك وقال: «أدخليها سيدة غريست».

دخلت دورين وهي ترتدي ثوباً أسود مع وشاح أبيض وأسود على كتفيها جعلها تبدو لسوء الحظ شاحبة أكثر من المعتاد. كانت تحمل علبة مسطحة ومستطيلة في يديها المغطاتين بقفازين أسودين.

قالت وهي تطبع قبلة في الهواء قرب خده: «عيد ميلاد سعيد يا

غاريك».

ثم جلست في الكرسي الجلدي قبالته.

عاد للجلوس مكانه وفتح العلبة، ثم قال: «ربطة عنق».

ربطة عنق بلون الخردل، تحمل شعار نبالة. كانت أقبح من تلك الخضراء التي تحمل الحروف الأولى لاسم مصمم شهير والتي أهدته إياها العام الماضي. كما أنها أقبح من تلك البنيّة والذهبية التي أهدته إياها منذ عامين، والتي تركت عليها ورقة الحسم عن طريق الخطأ.

قالت: «اكتشفت أنّ أصول شجرة العائلة تعود إلى العائلة المالكة البولونية. وهذا هو شعار أسلافنا».

كاد غاريك يضحك. كانت عائلة ويسنوسكي تتحدر من أصول فلّاحة ودورين تعلم هذا جيداً، لكنه لم يدع أفكاره هذه تظهر على وجهه بل قال: «شكراً لك يا دورين. كيف كانت رحلتك البحرية؟».

سعلت قليلاً وضعف صوتها العالي عادة حين ردّت: «كانت الرحلة رهيبة. أبحرنا عبر إعصار وأصبت بالدوار طيلة الوقت. كانت كارين عديمة الاحساس... إنها تذكرني بك. لم تتعاطف معي رغم مرضي. أمضت وقتها عند بركة السباحة، تتسلى مع طاقم السفينة... لكن لننسَ ذلك».

ونظرت إليه بحدة قبل أن تردف: «تحدّثت إلى اثيل هذا الصباح. قالت إنها رأتك في الحفل الموسيقي للاوركسترا السمفونية مع امرأة، وكذلك في المعرض الفني ومن ثم في المطعم».

لم ينفِ غاريك تماماً وهو يقول: «كان على أثيل أن تعمل كمراسلة لإحدى المجلات. إن كان هذا كل ما لديك يا دورين...».

- لا، هذا ليس كل ما لديّ يا غاريك ويسنوسكي! من هي تلك المرأة؟

عاد غاريك للجلوس مجدداً وهو يكبح ابتسامة: «اسمها اليونور هرناندیز».

- هرناندیز... الاسم یبدو مکسیکیاً.

- وهو کذلك.

وساد الصمت في المکتب. استند غاریك إلى الخلف ینتظر الانفجار. لطالما اشتکت دورین من دفق المهاجرین المکسیکیین، وکانت تتجاهله حین یشیر إلى أنّ ظروف جدیهما کانت مشابهة.

وأخیراً، کسرت دورین حاجز الصمت: «یسرّني أن أرى أنك تحترم ناحیتك من صفقتنا».

قطّب: «ماذا تقصدین؟».

کررت کلامها: «صفقتنا. أن تبدأ بمواعدة فتاة لطیفة. أخبرتني ایثل أنها شابة ساحرة تماماً».

لم یجبها غاریك إذ لم یجد ما یقوله في هذه اللحظة بالذات.

- کما قالت ایثل إنها تلقت دعوة إلى المزاد الصامت من أجل المؤسسة الفنیة. قالت لي بسرّیة طبعاً إنّ صدیقها في لجنة السجل الاجتماعي معجّب جداً بفکرة المؤسسة. من الممکن أن یرد اسمي في اصدار هذا الصیف...

قاطعها غاریك قائلاً: «دورین، علیّ أن أعود إلى العمل».

ورافقها إلى خارج مکتبه، متجاهلاً استنکارها ثم عاد لیجلس مقطباً. خطته لإعطاء دورین درساً انحرفت عن المسار الموضوع لها. لکن الکثیر من المسائل لم تسر کما توقّع في الأسابیع القلیلة الماضیة، منذ التقى الیونور هرناندیز...

والتفت نحو اللوحة المعلّقة على الجدار قبالة مکتبه. المرأة ذات الثوب الأزرق.

کان ینوي إهداء هذه اللوحة لتید جونسون، انتقاماً منه بعد أن أهداه لوحة لیلي لاید، لکنه وبدلاً من ذلك ولسبب غیر مفهوم، أمر بتعلیقها في مکتبه.

حدّق فیها، محاولاً أن یدرك الملفت فیها لکن من دون جدوى.

لطخات اللون العشوائیة، اللطخات والخربشات لا معنى لها... تماماً کایللي التي لم یکن قادراً على اکتشاف ما تریده. في بادئ الأمر، ظن أنّ غایتها المال، المال وحسب، لکنه عاد وبدل رأیه. عندما اصطحبها إلى المعرض الفني وأبدت إعجابها بآنیة خزفیة صغیرة، عرض علیها أن یشتریها لها لکنها رفضت. ولعل الذي فاجأه أکثر هو محاولتها رفض زیادة الراتب التي منحها إیاها. لقد تجاهل اعتراضاتها، لکنه وجد تصرفاتها غریبة. لا بدّ أنّ لدیها أهدافاً أخرى. لکن ما هي؟ الدعایة لصالة العرض؟ من دون شك. إنما لا بدّ من وجود أهداف أخرى. هدف یخصّها وحدها. الشهرة؟

ربما، على الرغم من أنه من الصعب أن یصدّق أن شخصاً یمکنه أن یبتسم کما تفعل، قد یکون ماکراً إلى هذا الحد. عندما تبتسم ایللي، تبتسم عیناها أیضاً ویضيء وجهها کله. کان الدفء یشع منها. أحیاناً، عندما تبتسم، یجد نفسه معجباً بها... کصدیق. علماً أنّ ما شعر به منذ لیالٍ مضت عندما وقف عند باب شقتها، ینظر إلى فمها المثیر، لم یکن له أيّ علاقة بالصداقة. أراد أن یأخذها بین ذراعیه، أن یعانقها حتى تذوب في أحضانه، أن یشدّها إلى صدره بحیث یعجز أيّ منهما عن الحراك...

تباً! قطّب وهو یتأمل اللوحة على الجدار، ثم عاد مجدداً یدرس العقود على مکتبه. خروجه مع ایللي مسألة عمل، إجراء متطرّف اتخذه لیحمي مصانع ویسنوسکي. ما أن ینهي صفقة لانشلاند وتکتشف أخته أنه خدعها، لن یحتاج لأن یمضي مزیداً من الوقت مع ایللي. خطط لقطع علاقته بالیونور هرناندیز سریعاً ومن دون مشاکل، وهو لا ینوي تعقید الأمور عبر التورّط معها عاطفیاً.

ولاحقاً ذلك المساء وفیما هو یقرع بابها ذکرّ نفسه بأنه لا ینوي التورّط معها.

دعته للدخول مارتینا التي انتعلت حذاءً عالي الساقین، وارتدت تنورة من القطن وکنزة بلون الزمرد أبرزت اللون الأسود لشعرها وعینیها.

سألها: «الموعد هام الليلة؟».

ابتسمت ابتسامة عريضة وردّت: «سيمر صديقي لاصطحابي وستوجّه إلى ماديسون».

- ماديسون؟ إنها رحلة طويلة في مثل هذا الطقس.

- نعم، سنمضي بضع ليالٍ مع أصدقاء له. هيا اجلس، فايللي ليست جاهزة بعد.

جلس على الأريكة، يتحدّث بسلاسة إلى مارتينا فيما جزء من عقله يسجّل معلومة أنّ الشقة ستكون فارغة عندما يعيد ايللي إلى بيتها الليلة؛ ما من أحد أبداً. سيكون المكان فارغاً، هادئاً، حميماً.

لكن هذا غير مهم طبعاً.

أجبر نفسه على التركيز على مارتينا. سألته وهي تشير بيدها إلى عمل فني وُضع على الطاولة: «ما رأيك بتحفة ايللي الجديدة؟».

بدا العمل الفني ككومة وحل، فقال: «غريب جداً».

تابعت مارتينا كلامها: «نصف ما تحضره إلى المنزل خردة. يكفي أن يدخل أيّ معتوه غريب الأطوار إلى صالة العرض ويخبرها قصة عاطفية حتى تفتح محفظتها على الفور. إنها تشعر بأنها مجبرة على شراء شيء ما من كل من يطرق بابها لأنّ والدها كان فناناً ولم يتمكّن من بيع أيّ عمل من أعماله».

قطّب غاريك لكن قبل أن تتمكّن مارتينا من إخباره المزيد عن والد ايللي، سمع وقع خطى من خلفه فوقف والتفت ليراها قادمة من غرفة النوم. جلّ ما استطاع أن يفكر فيه هو كم تبدو رائعة في ثوب المخمل الأزرق الذي انساب مبرزاً جمال مفاتنها الناعمة.

ابتسمت له وأعطته علبة لم يلاحظ حتى أنها تحملها وقالت: «عيد ميلاد سعيد».

ابتسامتها جعلت قبول الهدية أقل إيلاماً. فتحها وراح يحدّق في ربطة العنق داخلها التي انتشرت علامات موسيقية خضراء على طولها، كما

تناثرت عليها بقع بألوان قوس القزح.

قال: «كم أنها... غنيّة بالألوان».

اعترفت وهي تنظر إلى وجهه بقلق: «إنها فاضحة بعض الشيء، لكني رأيت أنّ عليك أن تسترخي قليلاً وتجرّب ربطة عنق ليست تقليدية ومحافظة كربطات العنق التي تضعها عادة».

سألها: «هل قام أحد فناني صالة العرض بتصميمها؟».

- ليس تماماً. لم أعرض أياً من أعماله، لكنه جاء إلى المعرض الأسبوع الفائت وهو يحاول جاهداً أن يجد لنفسه مكاناً...

نظر إليها ومن ثمّ إلى مارتينا التي أدارت عينيها قبل أن تختفي داخل غرفة نومها.

وفجأة، شعر غاريك برغبة في الضحك لكنه كافح ليحافظ على وجهه خالٍ من التعابير وعاد ينظر إلى ايللي: «إذن، سيتوجب عليك أن تساعديني لأضعها».

ابتسامتها المشرقة جعلت التضحية تستحق العناء.

نزع ربطة عنقه القديمة وأحنى رأسه بحيث تتمكّن من وضع الجديدة حول عنقه. حركته هذه جعلت وجهه يدنو من كتفيها العاريتين وجعلته يشتم أريج العطر الذي تضعه. واختفت كل رغبة لديه في الضحك. وعندما استقام، وضع يديه على خصرها ليثبتها... أو ربما ليثبت نفسه، لم يعد واثقاً من ذلك.

بدا خصرها نحيلاً بين يديه. ولم يعد صدرها يبعد عن صدره سوى بضع أنامل. ويكفي أن يشدّها قليلاً لتصبح في أحضانه...

- ها قد انتهيت.

وتراجعت إلى الخلف بسرعة.

انسدلت يداه على جانبيه ونظر إلى العقدة التي ربطتها بسرعة ومهارة قائلاً: «لقد فعلت هذا من قبل».

بدت متوترة وهي تجيبه: «اعتدت أن أعقد ربطات عنق جدّي. دعني

أحضر معطفي لنتطلق».

كان النادي الذي اصطحبها إليه صغيراً ومعتماً وحميمياً. وفي باحة الرقص، تحركت برشاقة لاتينية مثيرة جعلت حرارته ترتفع وجعلته عاجزاً عن إبعاد عينيه عنها. وتمكّن من كبح جماح نفسه لحوالى الساعة... حتى قررت الفرقة أخيراً أن تعزف لحناً هادئاً. عندئذ، جذبها إلى أحضانه.

ترددت؛ لكنها عادت ورفعت ذراعيها ولفتهما حول عنقه قبل أن تقترب منه أكثر وتلتصق به.

أخطأ في خطوة ما جعلهما يصطدمان بثنائي آخر. إلّا أنه سرعان ما استعاد توازنه وشدد من احتضانه لها.

همست: «غاريك».

- هم؟

- أنا أعرف لما أنشأت المؤسسة الفنية.

تشنّج قليلاً: «أحقاً؟».

- نعم، عرفت أنك فعلت هذا من أجل أختك.

واستندت إلى الخلف لتبتسم له: «لِمَ لم تخبرني؟ أظن أنه تصرف لطيف وكريم جداً منك».

حدّق غاريك في عينيها اللامعتين وقال: «أنا رجل أعمال، ولا أتصرف أبداً بلطف أو كرم».

هزّت رأسها وهي لا تزال تبتسم ثم أراحت خدها على كتفه. نظر إلى شعرها الناعم فيما الأفكار تدور في رأسه. يبدو أنها لم تصدّقه. وتساءل عما ستقوله إذا ما أخبرها أنه أنشأ المؤسسة ليزعج أخته وحسب وليس ليسعدها؟ ما الذي ستقوله إذا ما أخبرها أنه لا يهتم أبداً بإسعاد أخته؛ إلّا أنّ فكرة إسعادها هي أصبحت تجذبه أكثر فأكثر؟

وشدد ذراعيه من حولها لا إرادياً. لا بدّ أن الموسيقى هي سبب هذه الأفكار التي تراوده.

أعماه ضوء لامع، مفاجئ قربه، فطرف بعينيه. وعندما وضحت

الرؤية، شاهد غاريك رجلاً يحمل آلة تصوير ويتجه مسرعاً نحو الباب. تملّكه الانزعاج إلّا أنه اكتفى بالتنهّد. في الواقع، فاجأه ألّا تسعى الصحافة لالتقاط صورة له قبل الآن.

قال بخفة وهو يرمقها بنظرة: «أرجو ألّا تمانعي في أن تظهر صورتك في الصحف».

ظهرت الصدمة والرعب على وجهها: «ألن تحاول ايقافه؟».

- يمكنني ذلك إذا ما أردت.

فأومأت برأسها من دون أن تنطق بكلمة.

أمسك بالرجل فيما هو يصعد على متن سيارة. وبعد شجار صغير، تمكّن غاريك من انتزاع آلة التصوير منه. وفيما هو يخرج الفيلم منها، قال المصوّر: «امنحني فرصة. قال رئيس التحرير إنه سيعطيني علاوة إذا ما حصلت على هذه الصورة».

نهره غاريك بحدة: «اغرب عن وجهي قبل أن أمزّقك أنت أيضاً».

رمق المصوّر غاريك بنظرة ثم صعد إلى سيارته بعد أن رأى أنّ الانسحاب هو القرار العاقل في هذا الوضع. وصرخ من النافذة قبل أن ينطلق: «لا يمكنك أن تلوم المرء على المحاولة».

وشق غاريك طريقه عائداً إلى المطعم.

سألته ايللي بقلق عندما أصبح قريباً بما يكفي ليسمعها: «هل أمسكت به؟».

- لا تقلقي، توليت أمره.

ونظر إلى وجهها الشاحب ثم وضع ذراعه حول خصرها وأضاف: «هيا بنا. دعيني أعيدك إلى المنزل».

لم يتحدثا كثيراً فيما هو يقود في الشوارع المظلمة والباردة. فكّر غاريك بما حصل في النادي وفي ردّ فعل ايللي. كان ينبغي أن تُسرّ بالصورة وأن تستغلها في الدعاية لصالة العرض ولنفسها أيضاً. أيّ عاقل يتخلى عن مثل هذه الفرصة الذهبية؟

أوقف السيارة أمام المبنى حيث شقتها ونظر إليها.

قالت له: «لم تقدّمني إلى أيّ زبائن الليلة».

- لا.

وساد الصمت للحظة طويلة.

سألته: «هل ترغب في احتساء القهوة؟».

أحاط الضوء في الشارع وجهها بهالة، وأظهر عينيها الواسعتين، الصافيتين وشفتيها الجميلتين المبتسمتين. لعلها صادقة وصريحة كما تبدو، إلّا أنّ المشكلة الوحيدة تكمن في أنه لا يريدها كذلك. لم يشأ أن تجذبه، فهو لا يحتاج لأيّ تعقيدات إضافية. عليه أن يتركها تصعد وحدها إلى شقتها، إن كان يتحلّى ببعض المنطق...

نظر إليها وقال: «أودّ ذلك».

٧ - ورحل

ما إن دخلا إلى الشقة حتى خلعت ايللي قفازيها ومدت يدها لتشعل النور. إنما، وقبل أن تتمكّن من ذلك أطبقت يد غاريك على يدها. كان قد خلع قفازيه أيضاً، فشعرت بأصابعه دافئة على يدها. أقفل الباب مانعاً النور من التسلل من المدخل ومغرقاً الشقة في ظلمة تامة. جمدت ايللي مكانها فيما السواد يحيط بها ورائحة الصوف الرطب والريح البارد والمسك الرجولي تملأ خياشيمها. في الخارج، كان المطر يضرب بعنف والرياح تصفر؛ وفي الداخل، ساد السكون التام... باستثناء ضربات قلبها المتسارعة. حاصرتها ذراعاه فأسندت ظهرها إلى الباب قبل أن يعانقها.

وضعت يديها على صدره لتدفعه بعيداً عنها، لكن عناقه تغيّر، وتحوّل إلى عناق ناعم، حنون. أرادته أن يعانقها، أن يعانقها فعلاً. فقد أثار فضولها منذ ذاك العناق السريع المحبط ليلة مباراة كرة السلة. لكنها عرفت الآن. عرفت... آه، يا إلهي!

كانت تعلم أن عناق غاريك ويسنوسكي سيثير فيها شعوراً رائعاً. إنه طويل جداً بحيث ظنت أنه قد يسحقها، إلّا أنه أمسك بها بخفة ولطف، وكأنها موضوعة في شرنقة. اكتسحتها مشاعر غريبة وترقرقت عبر جسدها كله. أحبت عناقه أحبت قربه ولمسته...

وفجأة، أدركت أنها على وشك أن تكسر بعض الحواجز، جلّ ما أرادته هو أن تكتشف الشعور الذي قد يثيره فيها عناقه. لم تشأ أن تذهب أبعد من ذلك، كما لم تتوقّع أن يساورها مثل هذا الشعور، أن ترغب فيه

www.liromancia.com

إلى هذا الحد...

وفجأة، شعرت بأحدهم يدفع الباب من خلفها ويدفعها إلى الأمام. أمسك بها غاريك وتراجع إلى الخلف وهو يشدّها معه. سطعت الأنوار فأعمتها وسمعت صوتاً مألوفاً يقول: «شيء ما يسدّ الباب...».

رمشت ايللي بعينيها فيما وقفت مارتينا فاغرة فمها في المدخل، ومن خلفها صديقها.

- مارتينا! ما الذي تفعلينه هنا؟

وأدركت فجأة أنّ ذراعيّ غاريك لا تزالان تحتضنانها، فابتعدت عنه.

راحت عينا مارتينا الواسعتان تتنقلان من ايللي إلى غاريك والعكس بالعكس، وقالت: «الطريق مغطاة بالثلوج... سنرحل غداً بعد الظهر... أنا آسفة جداً، لم أكن أنوي مقاطعتكما!».

- أنت لا تقاطعيننا.

وتساءلت ايللي ما إذا كانت تبدو خجلة بقدر ما تشعر، إلّا أنها تابعت كلامها: «مرحباً بيلي. تفضّل اجلس».

دمدم بيلي وهو يختلس نظرة مرتبكة وقلقة إلى وجه غاريك الجامد: «لا، شكراً. عليّ أن أرحل. أراك غداً مارتينا».

- إلى اللقاء يا بيلي.

ما أن غادر بيلي حتى توجّهت مارتينا نحو غرفتها قائلة: «آه، أنا متعبة جداً».

وتظاهرت بأنها تتثاءب قبل أن تضيف: «من الأفضل أن أخلد للنوم الآن. تصبحان على خير».

وقطعت مسرعة المسافة المتبقية للوصول إلى غرفتها. التفت غاريك نحو ايللي وعيناه داكنتان وحادتان ثم قال لها بصوت خافت وأجش: «تعالي معي إلى شقتي».

- لا.

وأشاحت بنظرها عن وجهه، لكنه أمسك بوجهها بين راحتيه وأجبرها على النظر إليه: «تناولي العشاء معي غداً مساءً في شقتي».

التعبير الذي رأته في عينيه جعلها ترتجف. أدركت أنّ عليها أن ترفض، يجب أن ترفض. وفتحت فمها لتقول له لا لكنها همست: «حسناً».

التمع نور في عينيه وطبع قبلة عميقة على يدها قبل أن يقول: «إلى الغد».

ورحل.

www.elromancia.com

٨ - لقاء عاصف

في اليوم التالي، وجدت ايللي صعوبة في التركيز على العمل. علّقت لوحة، وبدّلت مكان منحوتة وعملت على الحسابات. إلّا أنها ولسوء الحظ، علّقت اللوحة رأساً على عقب، وأوقعت المنحوتة فانفصل الجسم عن الرأس، ولم تتمكّن من تصحيح الحسابات رغم أنها تحققت من الأرقام مراراً.

أخيراً، تخلّت عن محاولات الادعاء بأنها تعمل وارتمت على الأريكة الجلدية الموضوعة وسط الصالة. وشاءت الصدفة أن تكون الأريكة قبالة الساعة تماماً. الثالثة وثماني وخمسين دقيقة. الثالثة وتسع وخمسين دقيقة. الرابعة تماماً...

يمكنها بعد ساعة أن تعود إلى المنزل وتحضّر نفسها لتناول العشاء عند غاريك.

وما يعنيه ذلك!

لم تنطق بهذه الجملة الأخيرة، لكنها سمعت الكلمات تتردد بصوت عالٍ وواضح في رأسها.

هل هي مجنونة؟ لا بد أنها كذلك؟ وإلّا كيف تمكّن غاريك ويسنوسكي من التأثير فيها إلى هذا الحد؟ كيف فعل بها هذا؟

بعد أن رحل الليلة الماضية، جلست ساهمة على أريكة غرفة الجلوس، ولم تتحرك حتى سمعت صرير باب. رفعت نظرها لترى قريبتها تبرز رأسها بحذر. همست مارتينا: «هل رحل؟».

أومأت ايللي برأسها.

فتحت مارتينا الباب على اتساعه وانضمت إليها في غرفة الجلوس. قائلة: «واو! تبدين وكأنك متِ وصعدت إلى الجنة».

- مارتينا...

- هيا، آل... اعترفي. لا أصدق ما رأيته لتوي. لم تهتمي لأيّ رجل منذ جئت إلى شيكاغو. بدأت أفكّر في ارسال اسمك إلى أقرب دير.

قطّبت ايللي: «عدم انتقالي من علاقة إلى أخرى، لا يعني أني أريد أن أصبح راهبة».

لم تتراجع مارتينا رغم نبرة ايللي التي حاولت أن تثنيها عن الموضوع: «غاريك ويسنوسكي من بين الناس كلهم! ظننت أنك تكرهينه».

هذا ما ظنته ايللي أيضاً، لكن ثمة ما تغيّر في الأسابيع القليلة الماضية. واعترفت: «ليس سيئاً كما ظننت. إنه يضحكني كما يمكنه أن يتصرف بلطف شديد. إنه يهتم كثيراً لأمر أخته...».

حدّقت فيها مارتينا وقد ارتسمت تقطيبة على وجهها: «ايللي، هل أنت مغرمة به؟».

أثار هذا السؤال أعصاب ايللي التي ردّت بشكل آلي: «لا، بالطبع لا».

فقالت مارتينا: «نعم، صحيح. صدّقتك».

أصرّت ايللي: «هذا صحيح. أنا لست مغرمة به».

- حسناً، ينبغي أن تكوني كذلك. يجب أن تنسي ذاك الفاشل رايف فهو لم يهتم لأمرك يوماً. غاريك مختلف. رأيت الطريقة التي ينظر بها إليك. أعتقد أنه مغرم بك، وإن لم يكن فسيُغرم قريباً.

وتثاءبت مارتينا قبل أن تضيف: «عليّ أن أستيقظ باكراً في الغد. تصبحين على خير».

وما لبثت ايللي أنّ التجأت إلى سريرها بدورها، لكنها لم تنم جيداً.

هل أنت مغرمة به؟

مضت أربع عشرة ساعة والسؤال لا يزال يتردد داخل رأسها.

أغمضت ايللي عينيها لئلا ترى تلك الساعة السخيفة التي تتحرك ببطء. هل هي مغرمة بغاريك؟ إنها لا تظن ذلك، لكنها لم تختبر يوماً مثل هذا الشعور، حتى مع رايف. كان رايف يُكثر من الكلام لكنه لا يدعم خطاباته بالأفعال، أما غاريك فقلما يحكي لكنه ينفذ كل ما يعقد العزم عليه. لقد سخر رايف من اهتمامها بالفن والموسيقى، في حين أنّ غاريك أدرك أهمية الامرين بالنسبة إليها وشاركها التزامها العميق بدعم الفنانين والفنون. لم يكن رايف يهتم بوالده المعاق ووالدته المريضة... وبدا جلياً أنّ غاريك يهتم بأسرته... فهو يعيل أخته ويساندها ويمنحها الحب والرعاية والهدايا، كالعقد والمؤسسة الفنية...

إذا تركت العلاقة تستمر في منحاها الطبيعي، إذا ما ذهبت إلى شقته، فستقع على الأرجح في حبه. لكن هل سيبادلها الحب؟

بدا أنّ مارتينا تظن ذلك، لكن ايللي ليست واثقة. وخطر لها كم أذاها رايف وآلمها، وهي لا ترغب في أن تعيش هذه التجربة مجدداً.

في الواقع، إنها تختبئ منذ أن قدمت إلى شيكاغو، ولا يمكنها أن تستمر في العيش على هذا النحو طيلة حياتها. عليها في مرحلة معيّنة ان تخاطر.

لعل الوقت حان للمخاطرة... ونظرت إلى الساعة.

إنها الرابعة وسبع وخمسين دقيقة. الرابعة وثمان وخمسين دقيقة. لم يتبقّ سوى دقيقتين...

وفُتح الباب لتدخل منه امرأة ترتدي بذلة زرقاء وتضع في إصبعها خاتماً كبيراً من الماس. بدا مظهرها مثالياً بفعل عمليات التجميل، وعمرها يتراوح ما بين الثلاثين والخمسين سنة.

كانت ايللي تسرّ عادة لوصول أيّ زبون حتى ولو في موعد إقفال الصالة، أما اليوم فجل ما أرادته هو أن تعود مسرعة إلى بيتها ولتتحضّر للذهاب إلى منزل غاريك. أخفت عدم صبرها بجهد وسألت: «هل

أستطيع مساعدتك؟».

أعلنت المرأة: «أنا دورين تارينغتون».

دورين تارينغتون... شقيقة غاريك؟

ابتسمت ايللي والحرارة تستعر في داخلها. هل أرسل أخته للقائها؟

- سيدة تارينغتون! يسرّني التعرّف إليك أخيراً. أنا ايللي هرنانديز وهذه صالة فوغل.

لم تبادلها دورين الابتسام كما لم تلمس يد ايللي الممدودة. تلفتت العينان الرماديتان تتأملان الغرفة باشمئزاز، ونظرت إلى العديد من الأعمال التي اشترتها ايللي مؤخراً فارتسم على وجهها تعبير جزع وقالت بمرارة: «كنت أعلم، كنت أعلم!».

أنزلت ايللي يدها، وتلاشى الدفء في داخلها: «هل من خطب ما؟».

- نعم، بالفعل... هذا المكان مروّع! هذا ليس فناً حقيقياً! ما الذي ستقوله أسرة باليرمو وأسرة برانويل؟ لقد تعمّد هذا. أعلم أنه فعلها عن عمد!

سألتها ايللي: «من؟».

- غاريك.

كان صوت دورين مثقلاً بالاشمئزاز وهي تضيف: «أخي. اختار صالة العرض هذه ليهينني، الحقير. ذاك الحقير الخسيس!».

شعرت ايللي بعقدة تتكوّن في معدتها: «أنت لا تعلمين ما تقولين يا سيدة تارينغتون. غاريك فعل هذا من أجلك...».

ضحكت دورين ضحكة ساخرة: «هل هذا ما قاله لك؟ يبدو أنك لا تعرفينه جيداً أم أنك تفعلين؟».

والتفتت العينان الثاقبتان اللتان بدتا فجأة كعيني غاريك إليها وأردفت: «إنه عشيقك أليس كذلك؟ مجرد بائعة من العامة! لا أصدّق أنك تمكّنت أنت أو غاريك من خداع أثيل. طلبت منه أن يؤسس لي مؤسسة ترعى الفن، فماذا فعل؟ بحث عن أحقر صالة عرض في المدينة

ليزعجني. هذا الفعل يشبهه. كم يشبهه هذا التصرّف!».

فتحت ايللي فمها لتتكلم... لتقول أيّ شيء... لكن دورين تابعت كلامها بغضب عاصف كالرياح التي تضرب بحيرة ميتشيغن: «وأنت... أفترض أنك «الفتاة المناسبة» التي طلبت منه أن يجدها لنفسه».

وعادت نظرة دورين القاسية تنظر إليها مجدداً: «كم دفع لك لتلعبي هذا الدور وتخدعيني؟ أم أنك فعلت هذا مجاناً ظناً منك أنه يهتم لأمرك؟ آمل ألّا تكوني بهذه السذاجة. الأمر الوحيد الذي يهتم له أخي هو نفسه والمال طبعاً».

ومن دون أن تضيف كلمة أخرى، استدارت دورين على عقبيها وغادرت الصالة عائدة من حيث أتت. فدخلت ايللي التي شعرت بالدوار إلى مكتبها الصغير وجلست.

هل كانت تنظر إلى الأمور كلها بإيجابية زائدة وسذاجة مفرطة... فلم ترَ إلّا ما أرادت رؤيته؟

تلك المرأة... تلك المرأة الفظيعة هي أخت غاريك؟ يبدو أنّ رأيها بأخيها ليس عظيماً. هل ما قالته صحيح يا ترى؟ هل اختار غاريك فوغل وخرج مع ايللي ليهين أخته؟

شبكت ايللي يديها بقوة. لم تشأ أن تصدّق هذا الكلام، لكنه يبدو صحيحاً. كل تلك التناقضات الصغيرة التي حيّرتها والتي تجاهلتها اتخذت الآن معنى رهيباً ومقززاً. طلبه منها الخروج معه للتحدّث عن المؤسسة الفنية بعد أن أهانها في مكتبه، واختياره السريع لفوغل من دون التحدّث إلى صالات العرض الأخرى. إصراره على أن ترافقه إلى حفل الأوركسترا السمفونية، ولتناول العشاء، وإلى المعرض الفني وإلى مباراة كرة السلّة...

شعرت ايللي بالبرد في داخلها. ظنت أنه رجل لطيف وكريم يحب أسرته، لكنها رأت الآن، وبعد أن سقط القناع، الرجل نفسه الذي تركها تقف وحيدة على الرصيف... الرجل البارد، الأناني، القاسي.

هل يأبه لأحد أو لأيّ شيء عدا نفسه؟

للمال بحسب أخته.

مدّت ايللي ذراعيها على الطاولة وأسندت رأسها إليهما.

كان عليها أن تطرح عليه المزيد من الأسئلة بدلاً من أن تسمح لنفسها بأن تصدّق الأفضل. لكن هذا ما أرادت أن تصدّقه. لو لم تأتِ دورين، لأكملت ايللي الدرب الذي بدأته...

ظنت أنها يمكن أن تقع في حبه. ظنت أنه قد يتعلّم كيف يحبها. كيف أمكنها أن تكون بهذا الغباء؟

- ايللي؟

رفعت رأسها مذهولة: «روبي؟».

رمشت بعينيها لتخفي دموعها ونظرت إلى قريبها الوسيم الذي وقف في باب مكتبها، مضيفة: «ما الذي تفعله هنا؟ ظننت أنك لا تزال في السجن».

ارتمى إلى جانبها وأجاب: «خرجت قبل الموعد المحدد لحسن سلوكي. عليّ أن أتقدّم من الضابط المسؤول عن إطلاق سراحي المشروط مرة في الأسبوع».

- هذا... هذا عظيم.

وبذلت ايللي جهداً كي تضع عذابها العاطفي جانباً وتركّز على روبي. بدا أنحف مما تتذكّر وبشرته شاحبة بعض الشيء... إلّا أن يديه لا تزالان ترتعشان بالطاقة التي لا تهدأ. وعندما تنشقت، اشتمت العطر الذي لطالما أحبه: «كيف حالك يا روبي؟».

- بخير. لم أتعاطَ أيّ شيء خلال الأشهر الستة الأخيرة.

- هذا عظيم. أنا فخورة بك.

- شكراً آل. لكن انسي أمري. لِمَ كنت تبكين؟

كانت عيناء البنيتان الكبيرتان، الشبيهتان بعيني مارتينا، قلقتين للغاية. وحاولت أن تبتسم: «كنت منزعجة وحسب بسبب... مسألة

تتعلق بصالة العرض».

- هل تبكين بسبب ذاك الرجل ويسنوسكي؟

استقامت ايللي فوراً: «كيف علمت بشأنه؟».

- قالت مارتينا إنك مغرمة به.

- مارتينا قالت لك هذا!

- نعم، اتصلت بشقتك هذا الصباح وتحدّثت إليها قليلاً. أخبرتني عنك وعن ويسنوسكي.

ألم تفهم مارتينا بعد أنّ عليها ألّا تخبر روبي عن حياة ايللي العاطفية؟

- حسناً، هذا غير صحيح.

نظر إليها وكأنه لا يصدّقها، فأصرّت وهي تمسح الدموع عن وجهها: «حقاً. لعلي ظننت أني مغرمة به للحظة أو اثنتين، لكني أدركت الآن أني كنت مخطئة».

بقي يحدّق فيها وهو مقطّب: «لم أرك يوماً تبكين من أجل رجل... حتى من أجل رايف الأحمق».

- روبي، هذا سخيف.

ووقفت وهي تردف: «لا أريد أن أتحدّث عن غاريك ويسنوسكي».

وقف روبي بدوره وهو يطقطق أصابعه: «لقد آلمك».

فقالت قلقة: «نعم... أعني لا، ليس فعلاً».

وتذكرت ما حصل في المرة الأخيرة حين بدت هذه النظرة في عينيّ روبي. لطالما كان يحميها: «لا تقلق. يمكنني أن أعالج مسائل حياتي العاطفية. أليس من الأفضل أن ترى والديك؟».

خبا التلهّف الذي كان في عينيه وراح يعدّل وقفته، متنقلاً من رجل إلى أخرى: «ايللي، أكره أن أزعجك فيما قلبك مفطور و...».

- لكنه ليس مفطوراً!

قال روبي متجاهلاً مقاطعتها له: «لكني لا أعلم ما إذا كان أبي سيدعني أدخل إلى البيت. لديّ صديق سيغادر المدينة وقد سمح لي بأن

أقيم في بيته اعتباراً من الغد. إنما الليلة...».

قالت: «أرحّب بك في منزلي. أنا واثقة من أن مارتينا لن تمانع إذا ما استخدمت غرفتها».

- شكرا آل... أنت الأفضل. وثمة أمر آخر. لديّ صديق... يريد أن يصبح فناناً. إنه موهوب فعلاً...

انقبض قلب ايللي قليلاً: «هل التقيت هذا الصديق في السجن؟».

- نعم، أوقف بسبب قضية احتيال لكنه عاد إلى الطريق المستقيم... إنه رجل ذكي وهو يتابع كل الدورات المتاحة عبر الانترنت. إذا احتجت يوماً لحانوتي أو لكاهن أو لمحامي فهو الرجل المناسب. أتظنين أنك تستطيعين أن تلقي نظرة على أعماله؟

ردّت بهمّة فاترة: «طبعاً. فليحضر بعض النماذج في الغد».

- شكراً آل. أنا مدين لك. اسمعي، هل تستطيعين إعطائي مفتاح شقتك؟

سلّمته المفتاح فعانقها عناقاً سريعاً قبل أن يضيف: «شكراً لك مجدداً. اسمعي، إذا احتجت لأيّ مساعدة، إذا أردتني أن أضرب صديقك ضرباً مبرحاً أو أيّ مساعدة أخرى، فاعلميني على الفور».

قالت متأثرة رغماً عنها: «سأفعل».

وما أن غادر حتى ارتمت مجدداً على كرسيها وراحت تتخيّل المواجهة بين الرجلين... غاريك يتعرّض للضرب وروبي يعود إلى السجن مجدداً.

وأملت ألّا ترى غاريك مرة ثانية، لكن ما أملته أكثر هو ألّا يتقابل هو وروبي يوماً.

كانت ايللي تجلس على أريكتها قبالة روبي وصديقه كاسبر عندما رنّ جرس الهاتف ذاك المساء، فأدّعت أنها تدرس لوحات كاسبر في محاولة منها لتجاهل الرنين.

لم يستطع كاسبر أن ينتظر حتى الغد ليطلع ايللي على عمله فدعاه روبي للحضور إلى المنزل. بدا كاسبر لطيفاً بما يكفي، إلّا أنّ ايللي لم تشعر

بالكثير من الحماسة لرؤيته في شقتها عند عودتها، كما أنّ لوحاته لم تثر حماسها أيضاً ولم تستطع أن تصرف انتباهها عن الهاتف. هل هي مخيّلتها أم أنّ الهاتف يبدو غاضباً؟

- ايللي؟ ايللي؟ هل أنت هناك؟

بدا الصوت الأجش الذي تعالى من المجيب الآلي غاضباً جداً وهو يردف: «ارفعي السماعة يا ايللي وإلّا سأحضر شخصياً...».

انقضّت ايللي على الهاتف ورفعت السماعة بقوة بعد أن استبدّ بها الغضب هي أيضاً، ثم قالت بحدة: «لا أستطيع التحدّث إليك الآن. ما الذي تريده؟».

سألها بغضب شديد: «ما الذي أريده برأيك؟ أريد تفسيراً لتلك الرسالة التي تركتها على المجيب الآلي».

- لا آبه بما تريده...

ورأت روبي وكاسبر يستمعان إلى حديثها باهتمام واضح، فهزّت كتفيها وأدارت ظهرها لهما ثم أردفت بصوت كالفحيح، مضيفة بعض التحسين على الرسالة الهادئة، الباردة التي تركتها في وقت سابق: «لا أريد أن أخرج معك مجدداً أيتها الأفعى. لا أريد أن أراك مرة ثانية أيها الحقير. ما الذي لم تفهمه؟».

- أفهم أنك مستاءة من أمر ما، لكني لا أفهم ما هو.

- تلقيت زيارة من أختك اليوم. لنقل إنها فتحت عينيّ على طبعك الحقيقي.

ساد الصمت طويلاً، ثم قال بصوت شرس: «أنا قادم».

- قادم؟ ماذا تعني؟

وجرت نحو النافذة لتراه يترجل من سيارته والهاتف الخلوي في يده، فأضافت: «لا! لا يمكنك...».

وانقطع الاتصال. رأته يضع الهاتف في جيبه ويصعد السلالم. واجتاحها الخوف فهي لم تشأ أن تراه ولم تشأ أن تتحدّث إليه، بل أرادت

أن تختبئ. ستقول لروبي أن يطلب منه الرحيل...

روبي! يا إلهي! لا يمكن التنبوء بالسلوك الذي سينتهجه روبي.

وقرع جرس الباب.

تساءلت إن كان غاريك سيرحل إذا ما تجاهلته. وقرع الجرس مجدداً... راح يرن طويلاً، طويلاً كما لو أنّ أحدهم أبقى إصبعه على الزر.

قالت ايللي: «روبي، هلّا دخلت أنت وكاسبر إلى غرفة مارتينا لبضع دقائق؟».

قطّب روبي وسألها: «من ذا الذي على الباب؟ ذاك الرجل الذي تحبين؟».

ردّت بنفاد صبر: «لست مغرمة به! عليّ أن أتحدّث إليه وحسب... على انفراد».

لم يتحرّك روبي فيما زاد تقطيبه: «أنت تتصرفين بشكل غريب يا ايللي. تبكين بسبب هذا الرجل حيناً وتصرخين في وجهي حيناً آخر...».

فقال كاسبر: «لعلها حامل يا رجل. هكذا كان حال أختي حين هجرها رجلها».

التمعت عينا روبي بغضب عارم وتوجّه تلقائياً نحو الباب الأمامي، إلّا أنّ ايللي أمسكت بذراعه قائلة: «روبي، أنا لست حاملاً!».

فقال كاسبر: «أختي أنكرت ذلك أيضاً، لكنها رزقت بطفلها الصغير بعد خمسة أشهر...».

قاطعته ايللي التي لم تعد تحتمل المزيد: «بالله عليك! كاسبر وروبي إلى غرفة النوم... في الحال!».

بدا روبي وكأنه سيرفض الانصياع لكنها رمقته بنظرة عنيدة فتركها تدفعه نحو غرفة النوم مكرهاً. قال وهو يطقطق أصابعه: «إذا احتجت لأيّ مساعدة، فلا تترددي في مناداتي وسيسرّني أن...».

وصفقت ايللي الباب.

أخذت نفساً عميقاً ومسحت يديها المتعرقتين على تنورتها ثم مررت يدها في شعرها تنظّمه قبل أن تتوجه نحو الباب وتفتحه. وعلى الفور، تجاوزها غاريك ودخل: «علينا أن نتحدّث».

فقالت بقدر ما استطاعت من برودة: «عمَّ سنتحدّث؟ عن المؤسسة الفنية التي أنشأتها من أجل أختك؟ أخبرتني دورين كم تقدّر الجهود التي تبذلها بالنيابة عنها».

رمقها بنظرة لا تُفسّر وسأل: «وثم؟».

حدّقت فيه غير مصدّقة: «ماذا! ماذا! هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالاً؟ وأرجو أن تكون صادقاً في الرد. هل كنت تعلم أنّ أختك ستكره فوغل؟».

تردد، لكنه عاد وأجاب: «نعم».

اخترق الألم فؤاد ايللي. أرادت أن تسرع إلى غرفة النوم وتختبئ، إلّا أنها لا تستطيع الاختباء من الحقيقة بعد الآن. عليها أن تعرفها كلها: «هل اخترت فوغل عن عمد لتزعجها؟».

التقت نظراتهما: «نعم».

وتلاشى الأمل: «وهل خرجت معي للسبب نفسه؟».

- نعم.

لقد قضي الأمر إذن! شعرت بحنجرتها تضيق إلى حدّ أنها بالكاد استطاعت أن تتكلم: «إذن، لم يبقَ هناك ما يقال».

أدارت ظهرها خشية أن تشرع بالبكاء أمامه، وأمسك بذراعها فابتلعت دموعها. لا يمكنها أن تبكي... يجب ألّا تبكي، ليس أمامه على الأقل. وتحررت من قبضته ثم طوت ذراعيها على صدرها وحملقت فيه قائلة: «هلّا غادرت من فضلك؟ لقد أنجزت كل ما خططت له».

تراجع غاريك إلى الخلف، ودسّ يديه في جيبه من دون أن يبذل أيّ جهد ليدافع عن نفسه. كيف يمكنه ذلك؟ فكل ما قالته صحيح، إلّا أنه

وبطريقة ما ليس صحيحاً في الوقت عينه. مما لا شك فيه أنه بدأ مخططه كما قالت، لكن الأمور لم تسر كما توقّع. أراد أن يزعج أخته، إلّا أنه لم يعد يفكّر في ذلك منذ وقت طويل. إنه يكره الفن الحديث إنما استمتع بالاستماع إلى حماس ايللي في الدفاع عنه. لقد خرج معها ليلقّن دورين درساً... لكنه كان ينسى أمر أخته وهو برفقة ايللي. نظر إلى وجنتيها المحمرّتين وإلى شفتيها المزمومتين، ثم ترددت نظرته على صدرها قبل أن تلاقي عينيها الغاضبتين. إنه يريدها بقوة لم يختبرها قط من قبل. إنه يريدها... وهو ليس مستعداً للتخلّي عنها. قال لها بصوت خافت وساحر: «نواياي في بداية علاقتنا لم تعد مهمة أبداً، إذ تغيّرت الأمور بشكل لم أتوقّعه. لم أشأ أن تتغيّر، لكن ثمة شيء ما بيننا يا ايللي، شعور لا يمكنني إنكاره كما لا يمكنك أنت أن تفعلي. هيّا، اعترفي. أنت تريدينني بقدر ما أريدك».

- أنت مجنون.

حملقت فيه ايللي، كارهة الثقة المتغطرسة في نبرته، وأضافت: «كيف يمكن أن أريدك؟ كل ما ظننت أنه يعجبني فيك هو كذبة. أنت لا تحب عائلتك، ولا تحب الفن أو الموسيقى، حتى أنك لا تحبني».

- أنت مخطئة يا ايللي.

وأصبحت نظرته داكنة وهو يردف: «إني معجب بك».

وأمسك بذراعيها وعانقها قبل أن تتمكّن من الابتعاد. وللحظة، ترنّح كل ما في داخلها. إنه محق، فهي تريده. وتريد أن تكتشف ما يعتمل بينهما... لكنها ليست غبية تماماً.

وابتعدت عنه مستعينة بكل ما استطاعت استجماعه من إرادة: «لا، غاريك، أنا...».

وقاطعها صوت: «هل تحتاجين لبعض المساعدة لكي تتخلّصي من هذا الأحمق؟».

التفت غاريك وايللي نحو غرفة النوم وكأنهما شخص واحد.

ضاقت عينا غاريك عندما رأى ذاك الغريب يقف في الباب. كان للشاب الذي يضع أقراطاً وأوشاماً بنية وعينا فتى شوارع، كما أنّ رائحة العطر تفوح منه بشدة. من هو وما الذي يفعله في شقة ايللي؟

لم تبدُ ايللي مسرورة جداً لظهور هذا الغريب، وقالت: «روبي، أخبرتك أني أستطيع معالجة هذا الأمر بنفسي».

نظر إليها غاريك بحدة قبل أن يضيف: «أفترض أنه قريبك؟».

لم تجب عن هذا السؤال وقد ركّزت انتباهها كله على روبي: «أرجوك، عد إلى غرفة مارتينا».

- بعد دقائق يا عزيزتي.

والتقت العينان الشريرتان بعيني غاريك وهو يردف: «أريد أولاً أن أكتشف نوايا هذا الرجل».

فتشدّق غاريك: «وتتساءلين لما أفضّل أن أبقى على مسافة من أفراد أسرتي؟».

بدا أنّ الموقف لا يسلّي ايللي: «غاريك، اهدأ من فضلك...».

- لا تقلقي يا آل، سأسكته بنفسي.

وسارع روبي نحو غاريك. انتظر غاريك حتى كاد الرجل الآخر يصل إليه ثم تنحى جانباً بسرعة. بقي روبي منطلقاً بسرعة فائقة ليرتطم بالطاولة ويوقع المنحوتة ويحطمها شر تحطيم.

- روبي! غاريك! توقفا على الفور!

بدا أنّ روبي لا يسمع ايللي، إذ استقام والغضب مرتسم على وجهه ثم اندفع بقوة نحو غاريك. فلاقاه هذا بضربة سددها إلى بطنه ما جعل روبي يتلوى وينحني. صرخت ايللي صرخة خافتة وسارعت نحو قريبها: «روبي! روبي! هل أنت بخير؟».

وقف روبي مجفلاً وأجابها بصعوبة: «أظن ذلك».

ثم نظر إلى غاريك مضيفاً: «تظن أنك قوي؟ لم تنتهِ المسألة. لن تنجو بما فعلته بإيللي. عليك أن تصحح خطأك...».

نادت ايللي بسرعة، مقاطعة قريبها: «كاسبر! تعال وساعد روبي!».

راقب غاريك الذي استند إلى الباب ليلتقط أنفاسه، الرجل الآخر يخرج من غرفة مارتينا ويساعد ايللي في إسناد روبي ليعود إلى الغرفة. كما سمع كاسبر يهمس لروبي: «لا تقلق يا رجل. سنجد حلاً ما...».

أغلقت ايللي الباب وعادت إلى غرفة الجلوس.

قال غاريك: «يا له من قريب ساحر».

حملقت فيه وسألته مستنكرة: «هل كان عليك أن تضربه؟».

شبك غاريك ذراعيه على صدره: «لقد هاجمني».

- حسناً، ما من داعي لأن تكون... عنيفاً جداً.

امتنع غاريك عن الرد بعد أن أدرك أنه يواجه عدم المنطق النسائي. وبدلاً من ذلك، سأل: «ما الذي كان يتحدث عنه؟ ما الذي فعلته بك؟».

أشاحت بنظرها عنه وهزّت كتفيها بإنزعاج: «لاشيء. هلّا رحلت الآن؟ أظنك تسببت بما يكفي من المشاكل لليلة واحدة».

- لن أغادر قبل أن أصحح ما حصل بيننا...

وانفتح باب غرفة النوم مجدداً.

التفتت ايللي: «ما الأمر الآن...».

وفجأة، توقّفت عن الكلام.

رأت روبي يقف في باب الغرفة مرة أخرى. لكنه هذه المرة، كان يحمل مسدساً في يده.

٩ - الزوجة الحنون

صرخت ايللي: «روبي! ما الذي تفعله؟ ضع هذا المسدس من يدك!».

نظر غاريك إلى المسدس ومن ثم إلى روبي، وقال له ببرودة: «لا تكن غبياً يا هرناندیز».

وقفت ايللي أمام غاريك قائلة: «روبي، تذكر ما حدث المرة الماضية حين أطلقت النار على أحدهم».

- رايف كان مغفلاً يا ايللي ويستحق أن يطلق عليه النار.

قطّب غاريك الذي بدا متوتراً ويقظاً عند سماعه الاسم. رايف... صديق ايللي السابق؟

حاول أن يشدّها لتقف خلفه، لكنها أفلتت من قبضته فصاح بها: «ابتعدي قبل أن يطلق عليك قريبك الغبي النار».

لم تتزحزح ايللي: «سيغادر غاريك المنزل يا روبي، لا حاجة للسلاح».

- من قال إني أريده أن يرحل؟ خطرت لنا أنا وكاسبر فكرة أفضل.

فيما هو يركز نظره على غاريك: «تحسّن تصويبي منذ تعاملت مع رايف. من الأفضل أن تنفذ ما أقوله وإلّا ستأسف».

- ما الذي تريده؟

قال روبي بتروٍ: «ستتزوّج ايللي. صديقي كاسبر كاهن».

لوّح لهم كاسبر من غرفة النوم، فيما قالت ايللي مروّعة: «روبي! هل جننت؟».

ثم نظرت إليه: «هل دخّنت شيئاً ما حين كنت في غرفة النوم؟».

ردّ روبي: «مستحيل. جسمي نظيف من المخدرات. جلّ ما أريده هو أن يكون لطفلك أب».

شعرت ايللي بغاريك يلتفت ليحملق فيها، لكنها لم تره. واحمرّت وجنتاها لكنها لم تشح بنظرها عن قريبها: «روبي، قلت لك من قبل إني لست حاملاً. ضع هذا السلاح من يدك حالاً...».

وتقدّمت منه لكنها توقّفت على الفور عندما وضع غاريك ذراعه حول كتفيها. رفعت نظرها إليه لتصاب بصدمة. فبدلاً من واجهته الباردة، لاحظت عضلة ترتعش في فكه، والغضب يستعر في عينيه. وتملّكها شعور مروّع.

قال لروبي: «حسناً، دعنا نسرع وننتهي من هذا الأمر».

التمع النصر في عيني روبي الذي تنحى جانباً فيما أبقى مسدسه مصوّباً على غاريك. عندئذ، خرج كاسبر من الغرفة. وفتح كتاب صلاة من الجلد الأبيض.

أعلن: «أيها الأحبة...».

انتفض جسد ايللي في اعتراض صامت فاشتدت الذراع حول كتفيها.

قال غاريك لها تحت غطاء صوت كاسبر الصداح: «من الأفضل أن نجاريهما بدلاً من أن يتعرّض أحدنا للأذى. سنعالج الأمر لاحقاً».

فقالت بعناد: «لا. روبي، أرفض أن أكمل هذه المهزلة، فما الذي ستفعله؟ ستطلق النار عليّ؟».

نظر إليها نظرة من جُرحت مشاعره وقال مستنكراً كلامها: «أنت تعلمين أنني لا يمكن أن أؤذيك يا ايللي. سأضطر وحسب لإطلاق النار على صديقك».

كانت تعلم أنه لا يعني هذا، لكنه في العام الماضي لم يكن ينوي ايذاء رايف أيضاً. هل ستسامح نفسها يوماً إذا ما تعرّض غاريك للأذى؟

وعندما التزمت الصمت لبضع لحظات، تنحنح كاسبر وقال: «هل تقبل يا غاريك بهذه المرأة...».

صاحت: «هذا سخيف! وغير قانوني بتاتاً. ألا يفترض أن نخضع لفحوصات طبية؟».

هزّ كاسبر رأسه: «القانون أكثر تساهلاً في أيامنا هذه. لم تعد الفحوصات الزامية».

- ماذا عن الرخصة؟ ليس لدينا رخصة زواج!

- لا تقلقي. يمكنني أن أطبع رخصة عن الانترنت وهي صالحة في كافة الولايات.

وتابع كاسبر المراسم فيما رمقت ايللي غاريك بنظرة يائسة علّه يمدّ لها يد العون. كان يتأملها وقد ارتسمت على فمه ابتسامة ساخرة ما جعلها تتصلّب. كيف يجرؤ على النظر إليها بهذه الطريقة؟ كما لو... كما لو أنه يظن أنها تريد الزواج به.

أجاب غاريك بصوت هادئ وبارد ما جعلها تصرف بأسنانها، أما هي فاضطرت لإخراج الكلمات من فمها عنوة.

قال كاسبر: «أعلنكما الآن زوجاً وزوجة».

وقال روبي وهو يومئ برأسه لهما من فوق مسدسه: «تهانيّ».

فرد غاريك بصوت مثقل بالتهكّم: «شكراً. نقدّر لك... تمنياتك الحارة. يمكنكما أن تغادرا الآن إذ نرغب أنا وزوجتي في البقاء وحدنا».

هزّ روبي رأسه: «مستحيل. يجب أن نحرص على أن يبدأ هذا الزواج بشكل صحيح».

لم تفهم ايللي ما الذي يتحدّث عنه كما لم تأبه في هذه المرحلة، إذ شعرت بأنها مستنزفة تماماً. هذه الليلة التي تطلّعت إليها تحوّلت إلى كابوس. الأمر الوحيد الجيد هو أنّ الوضع لا يمكن أن يسوء أكثر...

جلس روبي على كرسي واستخدم المسدس ليشير إلى الثنائي بالتوجّه إلى غرفة نوم ايللي: «تحتاجان أنتما الاثنين لليلة زفاف وسأحرص على أن تحظيا بواحدة».

في غرفة النوم، وقف العريسان الجديدان يحدقان في بعضهما البعض

للحظات طويلة.

قطعت ايللي الصمت أولاً: «إذن، ما الذي ستفعله الآن؟».

هزّ كتفيه بلا مبالاة: «سنخلد إلى النوم».

وجلس على الفراش مستنداً إلى الخلف يراقبها: «آمل ألّا تكوني من النوع الذي يشخر».

حدّقت فيه: «لا بدّ أنك تمزح».

- لا، لست أمزح. إنّ نومي خفيف والشخير يبقيني مستيقظاً...

- أنا لا أتحدّث عن هذا.

ولوّحت بيدها بفروغ صبر قبل أن تضيف: «أنا أتكلم عن تمضية الليلة هنا معاً».

وضع يديه خلف رأسه: «لا أظن أنّ أمامنا خياراً آخر».

- هل أنت مجنون؟ يمكننا أن ننتظر حتى يغفو روبي أو أن نحاول المرور عبر النافذة...

- هذا خطير للغاية. لا أرغب في أن أخاطر بإيقاظ قريبك أو أن أتلقى رصاصة من الخلف فيما أنا أحاول الفرار عبر النافذة.

ورفض مخططاتها بتثاؤبة ثم ربّت على الفراش قربه مضيفاً: «تعالي إلى السرير... يا زوجتي».

لم تستطع ايللي إلّا أن تحدّق فيه. هل هو مجنون؟ إنها تعلم أنه غاضب. فلِمَ لا يصرخ في وجهها؟ لِمَ يدّعي أنّ هذا الزواج صحيح؟

- غاريك، توقّف عن العبث.

- من ذا الذي يعبث؟

وبحركة واحدة سريعة ورشيقة، هبّ واقفاً وعبر الغرفة إلى حيث لا تزال تقف قرب الباب. وضع يديه على الحاجز الخشبي على جانبيّ وجهها ثم انحنى ليعانقها بخفة قبل أن يقول: «أمامنا الليل بطوله... فدعينا نستفيد منه».

وعانقها مجدداً فنسيت أن تفكّر وتفجّر على الفور الانجذاب الذي

حاولت أن تنكره، مغرقاً دماغها بانفعالات متعددة الألوان، غامراً جسدها بأحاسيس متفجّرة.

تفاعلت معه بشكل أعمى وغريزي. أخذها بين ذراعيه فشبكت ذراعيها حول عنقه، واشتدت قبضته عليها ثم رفعها فجأة وحملها في الغرفة.

وضعها بلطف ونعومة على السرير، واستلقى إلى جانبها. انحبس الهواء في رئتيها، وشعرت وكأن النار تستعر في جسدها.

انفصلت عنه، وهي تحاول تنشّق الهواء ثم صرخت: «توقّف، لا يمكننا أن نفعل هذا...».

- لِمَ لا؟ لقد نلت ما أردته، أليس كذلك؟ الزواج من عازب شيكاغو الأكثر شهرة...

شقّ التهكّم في صوته طريقه عبر الضباب الذي هدد بابتلاعها. ما الذي يتحدّث عنه؟ هل ظن هذا الأحمق المغرور أنها تريد الزواج به، هذا الرجل الذي يستغلها لمعاقبة أخته؟ ودفعته من كتفيه.

قاومها، وانسلت أصابعه تمسك بشعرها، لكنها بسطت راحتيها على صدره وركلته بقوة أكبر بين ساقيه.

ابتعد عنها وهو يطلق شتيمة. زحفت على ركبتيها، مستعدة للفرار من السرير إذا ما قام بأيّ خطوة نحوها لكنه لم يفعل بل استلقى على السرير، يتنفس بخشونة، ويده تغطي عينيه. كان مظهره كله يوحي بالألم.

وتباطأت خفقات قلبها المسعورة، واجتاحها الشك فلمست يده: «غاريك؟».

تصلّب عندما لمسته ثم أخفض ذراعه ونظر إليها بعينين باردتين وقاسيتين قائلاً: «في المرة القادمة حين تخططين لجعل رجل ما يتزوجك، فاحرصي على أن تتحلّي بالشجاعة اللازمة لتكملي حتى النهاية».

سقطت يد ايللي إلى جانبها: «ما الذي تتحدثين عنه؟».

وقف وأشار إلى الباب، إلى حيث تموضع قريبها: «الزواج بقوة

السلاح. العروس الممانعة. ظننت أني رأيت كافة أنواع الخدع، لكن هذه لامعة، وأنا أعترف لك بذلك».

ونظر إليها يتأملها: «إنك امرأة شهوانية عندما ترغبين».

احمرّت وجنتاها ثم شحبت وقالت: «لا أظنك تعتقد أني خططت لهذا. أنت من اندفع إلى هنا...».

- نعم، بعد أن تركت تلك الرسالة لتحرضي على أن أفعل. في الواقع، شعرت بالذنب لأني قمت باستغلالك، لأني أسأت الحكم عليك. لكني كنت مصيباً منذ البداية، أليس كذلك؟ أنت جشعة، تجيدين المناورة وتسعين لجني ثروة سريعة.

- أنا لا آبه لمالك...

- تصرّفك البريء هذا جاء متأخراً. لقد أوقعت بي. أنت لا تتوقعين مني أن أصدّق أن قريبك جاء بفكرة الزواج بنفسه؟ وأن وجود الكاهن الودود محض صدفة؟ ودعينا لا ننسى قمة المهزلة... أنت، العروس الحامل. أخبريني... هل أنت فعلاً حامل؟ هل حملت من أحدهم وقررت أن تزعمي أنّ الطفل طفلي؟ أم أنك اختلقت هذه القصة كلها لتجعلي قريبك وصديقه يجاريانك في خطتك؟

شعرت بوجهها يجمد غضباً وقالت: «أنت... أنت أيها الحقير المتغطرس. هذه الفوضى كلها بسببك أنت. ما كان لهذا أن يحدث لو لم تقرر أن تخدع أختك هذه الخدعة. ما كنت لأتزوجك حتى لو ثبت أني حامل. ما كنت لأتزوّجك لقاء منحوتات المتحف. ما كنت لأتزوجك لقاء لوحات اللوفر كلها. ما كنت لأتزوجك...».

- حسنا، فهمت. والآن، سأخلد إلى النوم إن كنت لا تمانعين، فلديّ عمل في الغد.

كرهت اللامبالاة في نبرته، وكرهت أكثر عجزها عن تقليده... إذ خرج صوتها مرتعشاً وهي تسأل: «لكن أين ستنام؟».

أمسك الوسادة وربّت عليها يسوّيها، مجيباً: «في السرير طبعاً».

- هذا سريري.

- أنا مستعد للمشاركة. ولا خوف عليك معي.

- أنا لست شهمة مثلك، ستنام على الأرض.

وراقبته بغضب واستنكار وهو يزيح الغطاء الذي حاكته لها الخالة آلما ويجلس ليخلع حذاءه. الأحمق اللعين. الـ... وامتدت يده إلى حزامه.

احمرت وجنتاها وقفزت من السرير لتقف مديرة له ظهرها. وبعد ثوانٍ، سمعت خشخشة الملاءات وصوت زر النور. وغرقت الغرفة في الظلام.

ترددت ايللي محاولة اتخاذ القرار المناسب. لن تشاركه السرير نفسه، لكن الخيار الآخر الوحيد هو أرض الغرفة الخشبية العارية.

فكرت في الخروج إلى غرفة الجلوس والنوم على الأريكة. كانت تعلم أنّ روبي لن يمنعها، لكن المشكلة تكمن في أنه قد يدخل إلى الغرفة ويطلق النار على غاريك. لا تظن أنه سيقتله... على الأقل ليس عن عمد. لكن روبي قد يصيبه خطأً في قدمه أو يده، أو في ظهره...

رمقت القامة السوداء المستلقية على السرير بنظرة، ورغبت للحظة في أن تخرج لتنام على الأريكة وتترك غاريك لمصيره.

تنهّدت. لا يمكنها أن تفعل هذا. فمهما كرهت غاريك، لا يمكنها أن تسمح لروبي بإطلاق النار عليه. إنما، وبعد بساعة، وبعد أن تقلّبت طويلاً على الأرض الصلبة، لم تعد واثقة مما تريده. كانت تشعر بالبرد وبألم في عظامها، ولم تستطع التوقّف عن الارتجاف. رفعت ركبتيها إلى مستوى صدرها، محاولة الحفاظ على حرارة جسمها. لا تتذكر أنها شعرت يوماً بهذا القدر من البرد، ولعلها ستتجمد قبل حلول الصباح...

وفجأة، أحاطت بها ذراعان دافئتان ورفعتاها عن الأرض. أطلقت صوتاً قصيراً حاداً، وهو كل ما استطاعت أن تفعله في تلك اللحظة لشدة ما كانت ترتجف: «ما... الذي تفعله؟».

دمدم: «صرير أسنانك سبب لي الأرق».

- حـ... حسناً أليس هذا مؤسفاً؟

وأسقطها فارتطمت بالسرير وأبلغته بتعالٍ: «أفضّل أن أتجمد حتى الموت على أن أشاركك السرير».

- إذا ما كنت مصرّة. ستوفرين عليّ أتعاب المحامي لإلغاء هذا الزواج، إنما افعلي هذا بهدوء.

جلست وقد شعرت بالإهانة وراحت تحدّق فيه في ظلمة الغرفة. وفجأة، صممت على ألّا تتجمد حتى الموت، فلن تحقق له أمنيته. كما أنّ السرير دافئ بشكل رائع، وهي لا تظن أنها ستتمكّن من النهوض حتى لو أرادت ذلك.

استلقت بحذر، وهي لا تزال ترتدي ملابسها كلها، محاولة تجاهل الجسم الأسود المستلقي قربها في المكان الذي تنام فيه عادة.

قال لها متشدقاً: «أتعلمين، ستتمكنين من أن تدّعي أن هذا الزواج صحيح إذا ما أتممناه...».

ردّت بحدة: «لا، شكراً لك!».

فضحك بنعومة وسخرية.

نامت على جنبها والتزمت بطرف الفراش. إذا ما قام بخطوة واحدة نحوها فستطلق النار عليه بنفسها.

استيقظت ايللي ببطء، مدركة أنّ ثمة أمر مختلف عن المعتاد. وارتعش أنفها. ما هذه الرائحة؟ لم تكن مزعجة، بل مسكيّة، ذكورية...

وفتحت عينيها على اتساعهما. رأت كتفاً مفتولة العضلات على بعد أنامل منها، فابتعدت غريزياً وعندما تقلّب غاريك، جمدت في مكانها وحبست أنفاسها لكنه لم يستيقظ فراحت تحدّق فيه. استطاعت أن ترى كل تفصيل من تفاصيل وجهه بفضل الضوء الذي تسلل عبر الستارة. قطّب فظهرت ثنية بين حاجبيه حتى في نومه. كانت رموشه قصيرة وداكنة، وأنفه جميلاً بما يكفي، وأذناه بارزتين قليلاً فأضفتا عليه مظهراً

يكاد يكون طفولياً. لكن هذا المظهر سرعان ما محته اللحية والشارب النابتان، ورسم شفته العليا الواضح وتقوّس شفته السفلية.

وبدأ صدرها يؤلمها. منذ يومين فقط كانت تظن أنه شخص مميّز. منذ يومين فقط كانت لترحب بحفل الزواج المجنون الذي جرى بالأمس... إنما من دون المسدس. كيف أمكنها أن تكون بهذا الغباء؟

ما من فائدة من البكاء! لقد بكت بسبب رايف، ولن تبكي بسبب غاريك ويسنوسكي.

نزلت من السرير ومسدت تنورتها المجعّدة بقدر ما استطاعت ثم توجهت إلى الباب وفتحته. لم تجد أثراً للرجل المجنون الذي يشهر مسدسه وتحققت من الغرفة الأخرى لكنها لم ترَ أيّ أثر لروبي ولصديقه. سوف تقتل روبي عندما تقع يدها عليه...

صوت من خلفها جعلها تلتفت. كان غاريك يقف في الباب، يزرر قميصه ويضع معطفه على ذراعه. بدا شعره رطباً ومسرّحاً إلى الخلف، لكن الطيف الداكن ما زال يغطي فكه.

- أقرر قريبك ألّا يبقى حتى نهاية شهر العسل؟

أشاحت ايللي بنظرها عن النبرة التهكمية في صوت غاريك، وفتحت أحد الأدراج وحدّقت في محتواه. قالت لنفسها إنها لن تدعه يضايقها، فهي لم تتصرف أبداً بشكل خاطئ.

- أترغب في بعض القهوة؟

- كم تبدين كزوجة حنون.

أغلقت الدرج بشيء من العنف والتفتت لتواجهه ثم توقفت. أخذت نفساً عميقاً وقالت: «اسمع، أنا آسفة لما حصل. روبي متهور أحياناً، لكن نواياه حسنة».

- أنا واثق من أن نوايا معظم المجرمين حسنة أيضاً.

صرفت بأسنانها حتى شعرت بألم فيها: «أنا آسفة لأنك أجبرت على تمضية الليلة هنا، لكن ما من ضرر حصل، أليس كذلك؟».

ورسمت ابتسامة على وجهها قبل أن تضيف: «وكما قلت أنت هذا الزواج غير شرعي وغير صحيح».

لم يبادلها الابتسام، بل بدا فمه قاسياً: «سيهتم محاميّ بأي تبعات قانونية، لكني سأعطيه تعليمات بألّا يمنحك أيّ قرش».

فقالت: «حسناً، أنا لا أريد منك أيّ شيء».

ضاقت عيناه: «أتتوقعين مني أن أصدّق أنك لن ترفعي أيّ شكوى ضدي؟».

- لا يهمني ما تصدّقه، لكن هذه هي الحقيقة.

شعرت بتعب من اتهاماته وشكوكه. فخرجت من المطبخ وتوجّهت نحو الباب الأمامي الذي فتحته، مدخلة هبّة هواء بارد. التفتت إليه وقالت: «من الأفضل أن ترحل الآن وتجعل محاميك يعمل على القضية في الحال».

قطب غاريك فيما هو يقترب منها. إنها تجيد لعب دور البريئة، لكنه لن يقع في الفخ هذه المرة. وضع معطفه وقفازيه قائلاً: «حسناً، سيتصل بك محامي. سأحرص على أن يقاضيك بتهمة محاولة الاحتيال».

فقالت عبر أسنانها المطبقة: «لا بأس! ارحل وحسب!».

توجه غاريك نحو الباب: «كما سيحرص محاميّ على أن يعود قريبك إلى السجن...».

ولاحظ غاريك لأول مرة تشققاً في الواجهة التي اعتمدتها، حيث أغلقت الباب بسرعة وقالت: «لا يمكنك أن تفعل هذا. لم يقصد روبي أيّ أذى...».

- رفع مسدس في وجه شخص ما يعتبر عادة كأذى متعمد. إنّ مكانه في السجن...

قالت بشراسة: «إنه يحتاج إلى فرصة. إذا ما حاولت إيذاء روبي، فسوف... سوف أخبر قصة زواجنا للصحف».

إذن، هذه هي الطريقة التي تنوي اعتمادها ليصبح الوضع في

صالحها. كان يعلم أنّ لديها مخططاً ما. وبلغ غضبه الذي كان قد يبدأ يتلاشى، أوجه، فقال بصوت حاد: «افعلي ما يحلو لك. أنا لا آبه أبداً».

وفتح الباب وخرج من الشقة. أخفض رأسه بسبب الهواء البارد وسار وهو يلعن نفسه لأنه اعتقد ولو للحظة أنها بريئة كما تبدو تماماً.

١٠ - صورة من الماضي

عمل غاريك بجد ولساعات طويلة في الأسبوع التالي. وباستثناء التفسير المقتضب الذي أعطاه لمحاميه والتعليمات الأكثر ايجازاً، لم يفكر في اليونور هرنانديز... أو لعله فكر فيها كلما وقع نظره صدفة على اللوحة المعلّقة على جدار مكتبه. حينذاك، كان يعجز عن السيطرة على الشعور بالحرقة في معدته.

كان يبحث في درج مكتبه عن علبة مضاد الحرقة ويتحدث في الوقت عينه عبر الهاتف إلى مدير الانتاج، عندما فُتح الباب في ذاك الوقت المتأخر من بعد ظهر يوم الجمعة ودخل لاري لارسون، رئيس قسم الشؤون القانونية في مصانع ويسنوسكي.

- سأعود إليك لاحقاً يا إيد.

وضع غاريك سماعة الهاتف وهو ينظر إلى وجه لاري: «إذن؟».

- لديّ أخبار جيدة وأخرى سيئة.

قال غاريك: «هيا أخبرني».

- الخبر الجيد هو أني تحدّثت إلى خبراء عدة وأكدوا لي ما قلته لك في بادئ الأمر... أيّ زواج بالإكراه يعتبر باطلاً. كما اكتشفت بعد بحث دقيق أنّ كل الولايات تقريباً ترفض الاعتراف برخص الزواج المأخوذة عن الانترنت. سيكون من الصعب جداً على الآنسة فرنانديز أن ترفع أيّ دعوى ضدك.

استند غاريك إلى الخلف في كرسيه، من دون أن يرفع بصره عن وجه المحامي: «وما هي الأخبار السيئة؟».

www.elromancia.com

- الأخبار السيئة... حسناً.

تنحنح لاري وعدّل جلسته قبل أن يردف: «الخبر هو أنّ الإكراه مسألة يصعب اثباتها. يمكنها أن تدّعي أنكما تزوجتما بكامل إرادتكما. عندئذ، ستصبح كلمتك مقابل كلمتها. كما أنّ ولاية أو اثنتين تعترفان برخص الزواج عبر الانترنت. ولسوء الحظ أنّ كاسبر اغيلبرت كاهن قانوني. وعلى الرغم من أني لا أشك لحظة في أننا سنكسب القضية، إلّا أنني أخشى أن تجرّنا الآنسة هرنانديز إلى قضية مربكة جداً في المحكمة تترافق مع دعاية لن تعود بالفائدة على الشركة. يريد حاملو الأسهم أن تبقى الشركة بعيدة عن الشبهات في أيامنا هذه...».

- لا آبه لحاملي الأسهم اللعناء.

كان غضب غاريك المكبوت طيلة الأسبوع يكاد ينفجر: «لن أدفع لها فلساً واحداً...».

قال لاري في عجل وهو يربّت على عقدة ربطة عنقه: «نعم، نعم. لن يكون هذا ضرورياً لحسن الحظ. إذا راجعت هذا الملف فسترى أني اهتممت بكافة الأوراق».

حلّ الرضا محل الحرقة في معدة غاريك الذي أخذ الملف الكبير من يد لاري وفتحه. رأى في داخله وثيقة تمنحه ملكية صالة العرض، فحمل قلماً وسأل: «هل راجع المحاسب الدفاتر؟».

- نعم، ما من خلل فيها. لكن ثمة أمر واحد يبدو غريباً بعض الشيء...

رفع غاريك نظره إليه وقد توتر: «ما هو؟».

- هبة قُدّمت إلى معهد الفنون منذ بضعة أيام.

- ما الغريب في ذلك؟

- حصل الفنان على خمسة آلاف دولار لقاء عمله الفني. وفي اليوم نفسه، تم قبض شيك حررته أنت للآنسة هرنانديز...

شدّد غاريك قبضته على القلم، فيما تابع المحامي: «اتصلت بمعهد

الفنون واكتشفت أنّ الهبة قُدّمت باسمك. سألت عن طبيعة الهبة، فقالت المرأة إنها منحوتة ضخمة...».

وصمت لاري فسأله غاريك مخمّناً: «صرصور ضخم؟».

ارتفع حاجبا لاري اللذان بالكاد يظهران في وجهه: «هل كنت على علم بذلك؟».

- ليس تماماً.

وقع غاريك الصك ثم وضعه جانباً. وحدّق في الورقة التالية وهي وثيقة تشير إلى أنّ اليونور هرنانديز تتنازل عن مطالبته بأيّ حقوق، وعلّق: «هذه الوثيقة موقّعة».

قال لاري برضا جليّ: «نعم، تحدّثت إليها هذا الصباح».

- هل سببت لك أيّ مشاكل؟

- لا، لم تفعل ما فاجأني. أظن أنها أدركت أنها هُزمت. لقد قرأت وثيقة التنازل وأوراق الإلغاء ثم وقّعتها. طلبت مني أن أذكّرك بما قالته عن قريبها.

- آه، نعم قريبها.

وضع غاريك وثيقة التنازل جانباً ونظر إلى الورقة التالية... إفادة ضد روبي.

كان يشعر بغضب شديد من مسألة الزواج بتهديد السلاح كلها ومن تهديدها ببيع قصتها لوسائل الإعلام بحيث لم يفكر ملياً وبوضوح في اليونور هرنانديز. جلّ ما فكّر فيه في الأسبوع الماضي هو الطرق التي تمكّنه من سحق صالة عرضها، وقريبها وهي خاصة.

لكن شيئاً ما راح يضايقه الآن، شيء كان ينخز في أسفل دماغه طيلة الأسبوع.

لقد انزعجت انزعاجاً شديداً عندما التقط لها الصحفي صورة مع غاريك، وأصرّت على أن يلحق به ويحصل على الفيلم. كما رفضت أن تجري مقابلة في حين أنّ مقابلة كهذه يمكن ان تساعد صالتها العزيزة.

ادّعت أنها تريد أن تسلّط الأضواء على الفنانين وعلى أعمالهم، لكن كلما فكّر في الأمر، كلما تأكد من أنها مثله لا تستسيغ فكرة أن تظهر في الصحف والمجلات.

إن كانت تحاول ابتزازه فهي لا تبلي بلاءً حسناً. كان عليها أن تهدده باطلاع الصحف والمجلات على الخبر إذا لم يدفع لها المال... وليس لإنقاذ قريبها. إن كان هدفها المال، فلِمَ لم تقبض الشيك الذي حرره لها منذ أسابيع بدلاً من أن تقدّم هبة سخيفة لمعهد الفنون، هبة تهدف إلى... ماذا؟ إرباكه؟ جعله يخجل؟ تسجيل نقطة؟ لو أرادت أن تطالبه بالمال لاحقاً لما وقّعت على هذه الوثائق. كانت لتدعه يستمتع بحقوقه الزوجية تلك الليلة، لا بل لشجعته على ذلك...

هذا غير منطقي. إنها غير منطقية..

رفع غاريك رأسه ليجد لاري يراقبه. أشار المحامي إلى سطر في آخر الشكوى وقال: «عليك أن توقّع هنا...».

دفع غاريك الورقة جانباً وقال: «بدّلت رأيي. لن أسعى لتوقيف روبرتو هرنانديز. أريد أن أبقيه خارج المسألة برمتها».

فغر لاري فمه: «لكن لماذا؟».

- لا أريد أن يشيع خبر أني أُجبرت على الزواج بقوة السلاح.

تشكّلت خطوط على جبين المحامي: «منذ متى تأبه بما يقوله الناس؟».

رفع غاريك حاجبيه: «يجب أن يسعدك كلامي فأنت لا تنفك تطلب مني أن أهتم بما يُقال عني».

ازدادت تقطيبة لاري عمقاً: «لا يمكنك أن تدع هذا الرجل يُفلت من دون عقاب. إنه خطر يهدد المجتمع...».

فسأله غاريك ساخراً: «هل تخشى أن يجول في المدينة ويجبر الرجال على الزواج من قريبته؟».

قال لاري بعدم سرور: «لا أظن أنّ من الحكمة تركه. فمن دون الشكوى القانونية، سيسهل على الآنسة هرنانديز أن تدّعي أنك لم تُجبر

على الزواج».

- لقد وقّعت التنازل.

- هذا لا يعني أنها لا تستطيع أن تغيّر رأيها. إذا ما حصلت على محامٍ ذكي فستتمكّن...

قاطعه غاريك: «أنا مستعد للمخاطرة. لقد اتخذت قراري».

- حسناً، أرجو أن توقّع وثائق الإلغاء لأنصرف.

نظر غاريك إلى الوثيقة الأخيرة ثم وضعها جانباً أيضاً وهو يقول: «لديّ اجتماع بعد لحظات. سأوقع لاحقاً».

- كل ما عليك أن تفعله هو أن توقّع هنا.

فقال غاريك بصوت بارد: «أريد أن ألقي عليها نظرة».

وراح يعمل على أوراق أخرى قبل أن يقول لمحاميه من دون أن ينظر إليه: «هذا كل شيء يا لاري».

عندما سمع غاريك صوت الباب يُغلق، رفع رأسه. راح يحدّق في الفراغ للحظات طويلة ثم رفع ببطء أوراق الإلغاء مجدداً. نظر إلى الناحية الخلفية للورقة حيث وضعت ايللي توقيعها، وتمعّن فيه للحظات طويلة... خط القلم الرفيع، شكل «الألف» المميز في اليونور، و «الهاء» الأنيقة في هرنانديز.

وعاودته ذكرى ذاك الصباح حين استيقظ في شقة ايللي. أدرك على الفور أنّ ثمة خطب ما... غطاء الوسادة تحت رأسه كان من القطن الرخيص بدلاً من الحرير، والهواء البارد يلسع بشرته غير المغطاة باللحاف الثقيل، كما فاحت رائحة تسكر الحواس من مكان قريب... رائحة جعلت جسده كله يتجاوب معها. وفتح عينيه ببطء. رأى خصلات شعر داكنة ومشعثة، ورموش سوداء طويلة فوق وجنتين ملوّنتين بلون زهري خفيف؛ وشفتين حمراوين، ناعمتين...

لقد أغمض عينيه مجدداً وانتظر حتى استيقظت وغادرت الغرفة. عندئذ فقط، نهض وارتدى ملابسه. إنما وبدلاً من أن يغادر على الفور،

جال في الغرفة، فلاحظ إطار السرير الحديدي الأثري والغطاء القديم الذي يتناقض تماماً مع اللوحات التجريدية المعلّقة على الجدار. على طاولة الزينة البيضاء، رأى إطاراً صغيراً بيضاوي الشكل في داخله صورة شخصين. بدت ابتسامة الرجل الأشقر ذي العينين الزرقاوين مرحة فيما بدا وجه المرأة ذات الشعر الداكن والعينين الداكنتين كئيباً وقد أضفت عليه الخطوط القليلة التي ظهرت تعبير من أضنته الهموم. لم يكونا ينظران إلى بعضهما البعض، لكن هالة ما غير واضحة أحاطت بهما، ولعلها مرتبطة بالطريقة التي أمسكت بها يد الرجل بذراع المرأة بحنان فائق والطريقة التي أمالت بها المرأة رأسها نحوه، ما جعل غاريك يحدّق في الصورة طويلاً، طويلاً...

وضع غاريك أوراق إبطال الزواج على مكتبه، وأغلق الملف ثم رفع سماعة الهاتف وطلب رقماً.

١١ - لن أسامح

رفضت التحدّث إليه.

ازداد انزعاج غاريك مع مرور الوقت من دون أن تجيب ايللي على الهاتف أو تعيد الاتصال به. قصد صالة العرض فأخبره توم، الفنان الخجول، بصوت مرتجف أنها لن تحضر اليوم... أو في الغد. وتوجّه إلى شقتها، لكنها لم تكن في المنزل أو أنها رفضت فتح الباب.

وفي اليوم التالي، عيل صبره فاتصل وترك لها رسالة على المجيب الآلي.

- إذا أردت أن تحتفظي بعملك في فوغل، فمن الأفضل أن تحضري إلى مكتبي في تمام الساعة الثالثة من بعد ظهر هذا اليوم.

اتصلت مرات عدة بعد تلقيها هذه الرسالة لكن غاريك كان قد طلب من السيدة غريست ألّا تحوّل له الاتصالات.

وبعد ظهر ذاك اليوم، وفي تمام الساعة الثالثة، دخلت إلى مكتبه وهي ترتجف استنكاراً.

- ما الذي تنويه الآن؟

وتوقّفت عند كرسي الجلد قبالة مكتبه وحملقت فيه مضيفة: «هل ستحاول التحدّث إلى السيد فوغل ليطردني؟ لن يستمع إليك. سيصدّقني أنا...».

- لن اضطر للتحدّث إلى فوغل بعد الآن.

ووقف غاريك ببطء. بدا أكثر تنظيماً وسيطرة من المعتاد، فربطة عنقه مستقيمة، وشعره مسرّح بدقة. كانت تعابير وجهه أكثر قساوة وبعداً من ذي قبل عندما أردف: «اشتريت صالة العرض منه».

وقفت ايللي جامدة، تحدّق في عينيه اللتين تحيط بهما رموش قصيرة. كانتا رماديتين كالسماء في الخارج، وباردتين بقدر مياه بحيرة ميتشغن.

ابتلعت ريقها فشعرت بهذه الحركة البسيطة صعبة ومؤلمة، وهمست: «أنا لا أصدّقك. كان السيد فوغل ليخبرني».

أدركت ايللي أنّ الكلمات التي نطقت بها ليست صحيحة حكماً فآل فوغل يزداد ضعفاً يوماً بعد يوم كما أنه كثير النسيان... وعلى الرغم من أنها لم ترغب في الاعتراف بذلك لنفسها، إلّا أنها كانت تعلم أنه سيضطر لبيع صالة العرض قريباً.

- اساليه.

شعرت ايللي بالذهول. لعل غاريك يكذب... لكنها تشك في ذلك. ما الهدف يا ترى؟ بدا المكتب دافئاً عندما دخلت، إلّا أنها شعرت الآن بالبرد على الرغم من كنزتها السميكة. صالة العرض... صالتها... اشتراها غاريك ويسنوسكي. لقد أصبحت تحت رحمته كحال كل من تعيلهم صالة فوغل.

أولا يعلم هو ذلك؟ وقف خلف مكتبه الضخم، محاطاً بأثاثه الفخم، أشبه بملك ينتظر سماع التائب يقدّم حجته. وأدركت أنه ينتظر منها أن تعتذر. ينتظر منها أن ترجوه طلباً للرحمة. وانغرزت أظافرها في كنزتها السميكة.

قالت باعتزاز وهي تزيد من ضغط ساعدها على معدتها الغاضبة: «إذن، هل استدعيتني إلى هنا لتطردني؟ أم لتخبرني أنك ستقفل صالة العرض؟ أم لتأملني وحسب؟».

- كلها خيارات جذّابة للغاية، لكني أريد أولاً أن أطرح عليك سؤالاً عن موضوع آخر. فهمت أنك قدّمت منحوتة كهبة لمعهد الفن، باسمي أنا.

بدت فكرة جيدة حينذاك. لكنها الآن، وبعد التفكير المليّ...

لكن الوقت فات على الحذر، فات على الندم. رفعت ذقنها: «نعم،

قدّمت منحوتة برتريس للمتحف. قلت لهم إنّ لديّ شرطاً واحداً... وهو أن يضعوا اسمك بشكل بارز. كل من سيدخل المتحف، سينظر إلى الصرصور ومن ثم ينظر إلى اسم غاريك ويسنوسكي. أنا واثقة من أنّ كل من يعرفك سيفهم على الفور الصلة...».

فقال بصوت هادئ إلى حدّ يثير الغثيان: «لعلك محقة. أخبريني، هل يستحق العمل خمسة آلاف دولار؟».

ارتجفت إنما من الغضب وليس من البرد: «إنه يستحق ضعف هذه القيمة عشر مرات! أعلم أنّ الأمر يتجاوز قدرتك على الفهم، لكني لا أريد مالك، ولم أرغب فيه يوماً! لقد أخذت ذاك المبلغ فقط لأنك كنت فظاً للغاية! لكني سعيدة الآن لأني أخذته لأنه ساعد برتريس، وأنا سعيدة لأنّ شخصاً واحداً استفاد، وسط التعاسة التي تسببت بها، وأنا مسرورة لأنّ العالم بأسره سيرى الآن أيّ حشرة أنت...».

- هل انتهيت؟

تمسّكت بظهر الكرسي الجلد: «نعم، انتهيت. هل ستنتظر على الأقل حتى أجد مكاناً آخر للأعمال الفنية غير فوغل؟».

- لن أقفل صالة فوغل.

ظنت أنها لم تسمعه جيداً: «ماذا قلت؟».

- أريد أن تبقى أبواب صالة العرض مفتوحة... وأريدك أن تستمري في إدارتها.

راحت تحدّق فيه وقد توترت ورفضت تصديق كلامه: «لماذا؟».

- لعلي أخشى أن تبيعي قصتك عن زواجنا للصحف.

- قلت إني لن أفعل هذا إلّا إذا تقدّمت بدعوى ضد روبي.

- أتعنين أني أستطيع اغلاق صالة العرض من دون أن أخشى الانتقام؟

- نعم. أعني، لا... المسألة...

- هلّا خرجت لتناول العشاء معي؟

لا يمكن أن يكون جاداً. لكن عينيه كانتا داكنتين وفمه لا يبتسم.

قالت وهي تحاول استجماع رباطة جأشها: «يفاجئني أن ترغب في الخروج مع مجرمة مثلي».

- سأشذ عن القاعدة في حالتك.

- لماذا؟

- هل لا بد من وجود سبب؟

فقالت بحزم: «نعم، لا بد من ذلك».

وضع يديه في جيبيه: «أفترض أنه خطر لي أننا يمكن أن نكون... صديقين».

ردت غير مصدّقة: «صديقان؟».

بعد أن استغلها وأهانها واتهمها بأنها تحاول الايقاع به في شرك الزواج، يريدها أن تصبح صديقته؟ لا تظن ذلك. وتابعت تقول ببرودة: «لا، شكراً لك. أنا اختار أصدقائي بعناية».

لم يبدُ عليه الانزعاج من فظاظتها: «يمكنني أن أكون صديقاً جيداً».

- ما معنى كلامك هذا؟

- يمكنني أن أضخ مزيداً من المال في المؤسسة الفنية. كما يمكنني أن أنقل صالة عرضك إلى منطقة أخرى من المدينة أكثر أناقة. يمكنني...

سألته: «أتحاول أن ترشوني لأخرج معك؟».

- لا، بالطبع لا.

- هذا جيد لأن الجواب لا يزال لا.

كانت نظرته غامضة وهو يقول: «رتّبت ستايسي هاتفيلد أمور المزاد الصامت، على أن يقام هذا السبت في منزل أختي».

- وإن يكن؟

- لا بد أن تحضري شخصياً فالواهبون يحبون رؤية المعنيين قبل أن يمنحوا المال.

- يمكنهم رؤيتك أنت وأختك.

ضاقت عيناه: «يمكنني أن أكون عدواً شرساً».

حملقت فيه وسألته: «أتهددني؟».

ردّ بنعومة: «إني أحاول وحسب أن أتأكد من نجاح المؤسسة فقد استثمرت فيها الكثير من المال».

- حسناً. أفترض أنّ ما من خيار آخر أمامي.

وحدّقت فيه مجدداً قبل أن تسأله: «أخبرني، هل تضطر دوماً لابتزاز النساء للحصول على موعد؟».

أجابها مكشراً: «لا، أنت أول تجربة لي».

* * *

قالت دورين تارينغتون بصوت كفحيح الأفعى لغاريك فيما هي تبتسم وتومئ لثنائي يتناول المقبّلات: «ما كان لك أن تجبرني على الاستمرار في هذا. سيتحوّل الأمر إلى كارثة».

فدمدم غاريك بنبرة ضجرة: «ربما نعم وربما لا».

راحت أخته تتذمر وتشكو منذ أن طلب منها ألّا تلغي حفل العشاء. وناحت واشتكت وتلكأت، لكنها عادت ووافقت رغماً عنها عندما وعدها بدفع كلفة عملية شد الوجه التي ستخضع لها.

قالت دورين بنبرة تهديد: «إني أحذّرك يا غاريك، إذا ما أحرجتني صديقتك ذات الذوق السقيم أو صديقها الذي يشبه شخصيات الرسوم المتحركة، أمام ضيوفي وأصدقائي، فسأقاطعك إلى أبد الآبدين».

خطر لغاريك العديد من الأجوبة البعيدة عن اللطف، لكنه تمكّن من كبح نفسه، فهو لا يريد أن يتخاصم مع أخته الليلة. ردّ وهو يتأمل الثنائي المعني: «أنا واثق من أنّ ايللي وكاسبر سيتصرفان بشكل طبيعي تماماً».

وارتسمت تقطيبة خفيفة على جبينه. لم يتوقّع أن تحضر ايللي كاسبر معها. يبدو أن ستايسي هاتفيلد طلبت من ايللي أن تختار أحد الفنانين ليلتقي الضيوف. كان لا بأس بالأمر... لو أنّ ايللي اختارت أيّ فنان آخر غير صديق روبرتو.

في بادئ الأمر، حين كان هدف غاريك الوحيد هو معاقبة شقيقته، كان ليسرّ بحضور كاسبر. أما الآن فهو يريد أن تسير الأمور على خير ما يرام وحسب.

نظر إلى ابتسامة ايللي المشرقة وظهرها المتصلّب، فبدأ يشتبه بأنه قام ببعض الحسابات الخاطئة... وفجأة، أدارت ايللي رأسها والتقت نظراتهما. واستطاع أن يرى كيف التمعت عيناها حتى عبر الغرفة المزدحمة.

رن الجرس معلناً موعد العشاء، فأشاحت بنظرها وبدأت تسير مع الضيوف الآخرين نحو غرفة الطعام.

تبعها غاريك وهو يشعر بارتعاش طفيف.

لم تشأ ايللي أن تشارك في هذا العشاء. لم تشأ أن تحضر إلى هذا المنزل البشع، المزخرف بشكل مبالغ فيه، بتفاصيله المنمّقة وكراسيه وأرائكه التي تبدو وكأنها تصرخ: نحن قطع أثاث باهظة الثمن! لم تشأ أن تتحدّث إلى السيدة تارينغتون المتعجرفة وأن تحاول التصرّف بأدب معها. ولعل الأهم هو أنها لم تشأ أن تجلس في غرفة الطعام هذه حيث وجدت نفسها مجبرة على النظر إلى غاريك ويسنوسكي كلما رفعت نظرها عن طبقها.

حملقت إليه عبر الطاولة، إنما بدا وكأنه لم يلاحظ لشدة انشغاله بالتحدّث إلى أمبير بيلير، صديقته السابقة الشقراء. ثوب أمبير الأسود القصير جعل ثوب ايللي الأزرق البسيط يبدو وكأنه من أحد المتاجر الشعبية... وهو كذلك في الواقع. وبدا غاريك في بذلته الداكنة التي ناسبته تماماً، الرفيق المثالي للشقراء... رغم أنّ ألوان ربطة العنق الصارخة التي أهدته إياها ايللي بمناسبة عيد ميلاده تعارضت بشكل فظيع مع أناقة أمبير البسيطة. لِمَ وضعها؟ ليذكّر ايللي بمدى سذاجتها وحماقتها حين أهدته إياها؟

لم تتخيّل ما الذي سيكسبه من هذه التمثيلية كلها. لم تصدّق للحظة حديثه عن أنه يريدهما أن يصبحا «صديقين». لعله يرغب في أن يتابع

خطته المتعلقة بإزعاج أخته ومضايقتها.

حسناً، إنها لا تنوي أن تتعاون معه، مهما بلغت فظاظة السيدة تارينغتون.

نظرت ايللي بشيء من القلق إلى كاسبر الذي جلس عند الطرف الآخر للطاولة. في بادئ الأمر، عقدت النيّة على إحضار أحد فناني صالة العرض، لكنها شعرت بأنّ عليها أن تحذّرهم من أنّ المضيفة لا تأبه للفن المعاصر، فرفضوا كلهم الحضور. ما لم يفاجئها أبداً. أما كاسبر فراح يرجوها كي يرافقها، مشيراً إلى أنّ هذه هي فرصته الكبرى. وكانت غاضبة للغاية من غاريك بحيث وافقت أخيراً، مدركة أنّ الأمسية كلها ستكون مهزلة على أيّ حال.

إلّا أنّ ايللي ندمت الآن على انفعالها. فقد كرهت أن تُخضع أيّ فنان، مهما كانت موهبته مشكوكاً فيها، لعجرفة شقيقة غاريك. لحسن الحظ أن كاسبر بدا غافلاً عن هزء دورين، كما أنّ الضيوف الآخرين ليسوا بالسوء الذي توقّعته ايللي، فمعظمهم ودودون على عكس مضيفتهم. في الواقع، كان العديد منهم مهتماً فعلاً بالفن، كما أن واحداً أو اثنين منهم بديا مطّلعين بشكل واسع.

كان براندون كارلايل، وهو محامٍ متعجرف، في منتصف العمر، يخبر الجميع عن مطعمه المفضّل، فانحنى سام كرونر، وهو رجل في منتصف الثلاثينات، ذو شعر أشقر وعينين زرقاوين باسمتين، إلى الأمام ليوجّه كلامه إلى الرجل الآخر: «هيا يا براندون. أفضل طعام هو الذي تجده بنفسك. عندما كنا، أنا وبوني، في الاسكا، اصطدنا سمكة ترويت وهي أفضل ما أكلته يوماً. أليس هذا صحيحاً يا بون بون؟».

أومأت زوجة سام برأسها: «الجزء السيء الوحيد هو تنظيفها...».

قاطعتها دورين قائلة بصوت عالٍ وصل بوضوح إلى حيث جلست ايللي في منتصف الطاولة: «أفضل سمك تذوقته في هاواي. كان لذيذاً جداً. أتتذكرين يا أمبير؟ أعتقد أنك تناولت العشاء أنت وغاريك في ذاك

المكان الصغير في هونولولو ذات مرة».

- نعم، أتذكر. كان جيداً، جيد جداً.

ونظرت أمبير إلى غاريك بطريقة جعلت ايللي تدرك أنّ الشقراء لم تكن تتحدّث عن السمك. وتابعت دورين: «أخبرينا يا آنسة هرنانديز، ما هو مطعمك المفضّل؟».

رفعت ايللي نظرها وتأملت الوجوه حول الطاولة. بدا أنّ الكل يحدّق فيها فقالت: «قصر التاكو، فهو يقدّم أفضل تاكو سمك يمكنكم تخيّله».

ضحكت ساره كارليل فسكبت بعض الحساء من ملعقتها على ثوبها الأبيض. وسألت: «قصر التاكو؟ لم أسمع به من قبل، لكني أحب تاكو السمك. أين يقع؟».

- قرب تقاطع الشارع ٢٥ وشارع كدزي في ليتل فيلاج.

فقال سام: «أنا أيضاً أحب الطعام المكسيكي. هل يقدّمون الفطائر المحشوة؟».

أكدّت له ايللي: «إنها الأفضل، إنما عليّ أن أحذّرك من أنها حرّيفة. عمي يملك المطعم».

رفع بيتر برانويل الذي يملك سلسلة مطاعم نظره عن طبق الحساء وقال: «عمك يملك قصر التاكو؟ سمعت به... إنه ذائع الصيت لأنه يقدّم طعاماً ذا نوعية عالية بأسعار معقولة. هل فكّر عمك يوماً في منح حق الامتياز؟».

- لا، فهو يفضّل أن يبقى المطعم ملكاً للعائلة وبإدارتها.

ضحكت دورين ضحكة رنانة: «ملك للعائلة وبإدارتها؟ تجعلين الأمر يبدو وكأنك تعملين هناك».

نظرت ايللي إليها بهدوء: «لقد عملت هناك كنادلة».

- نادلة؟

وأشارت دورين للنادل كي يرفع أطباق الحساء قبل أن تضيف: «ليست بالمهنة التي يطمح إليها الكثيرون. إنما لعلك تتحدرين من سلالة

طويلة من نساء عملن كنادلات؟».

- لا، كانت والدتي تنظّف المنازل.

- يا إلهي! وأبوك؟

ابتسمت ايللي ابتسامة كئيبة وأجابت: «يا لأبي المسكين! كان عاطلاً عن العمل معظم الوقت. آخر عمل مارسه هو بائع سيارات مستعملة».

علّق سام فيما الخادم يضع طبق التحلية أمامه: «في السنوات العشرين الأخيرة لم أشترِ سوى سيارات مستعملة. لعلي اشتريت واحدة من أبيك. هرنانديز...، الاسم لا يعني لي شيئاً. ما كان اسمه؟».

- أشكّ في أن تكون قد عرفته... كنا نعيش في فيلادلفيا.

ومدّت ايللي يدها نحو الشوكتين فوق الصحن. ترددت ثم حملت إحداهما وتناولت القليل من صحن التحلية: «حلوى الكرز، إنها المفضّلة لديّ».

تنحنحت دورين بنعومة ورفعت متعمدّة الشوكة الأخرى: «بعد أن عرفنا خلفيتك، يمكنني أن أفهم لما قد تبدو لك بعض أوجه آداب المائدة غريبة».

بدّلت ايللي الشوكة ثم ابتسمت بعذوبة وقالت: «آه، لا، أبداً. علّمتني أمي أنّ السلوك الحسن يعني أن نجعل الآخرين يشعرون بالراحة».

ظنت ايللي أنها رأت غاريك يبتسم، لكنه سرعان ما غطّى فمه بيده وسعل. قال وهو يهب واقفاً: «حان وقت المزاد الصامت. لدينا عمل خاص ومميّز هذا المساء من صالة فوغل. سيخبرنا الفنان عنه. كاسبر؟».

وقف كاسبر الذي كان غارقاً في حوار مع أسرة باليرمو في الناحية الأخرى من الطاولة، ومشى متمهلاً نحو الحامل: «رسمت هذه اللوحة خصيصاً من أجل هذه المناسبة. إنها ترمز إلى التأثيرات المختلفة التي عرفتها حياتي، وإلى حبي وتقديري لأمي».

وأزال الستار عن اللوحة ليكشف عن. . . نهود. المئات منها.

سقطت شوكة السيدة برانويل في طبقها فيما انحنى زوجها إلى الأمام ومطّ عنقه ليرى بشكل أفضل. وشبكت أمبير ذراعيها على صدرها، كما أصدرت دورين صوتاً غريباً، مكتوماً.

وانفجر غاريك بالضحك.

قالت ايللي بعد ساعات عدة فيما غاريك يعيدها إلى منزلها: «يسرّني أنك وجدت الأمسية مسلية للغاية، لكني لا أظن أنّ هذا هو حال أختك. إنما هذه هي غايتك، أليس كذلك؟».

اعترف: «في البداية، ربما. ماذا عنك أنت؟ هل استمتعت بوقتك؟».

جاء ردّها بعيداً عن التهذيب: «كان من الممكن أن تسوء الأمور أكثر».

لم تشأ أن تعترف بأنها أمضت وقتاً ساراً. فبعد أن انفجر غاريك ضاحكاً، بدا أن الكل استرخى. وسار المزاد الصامت على خير ما يرام. وكانت أمبير قد غادرت باكراً فيما بدا أن الآخرين يستمتعون بوقتهم. . . الكل ما عدا دورين.

بالكاد نطقت دورين تارينغتون التي بدت متشنجة بكلمة واحدة لما تبقى من الأمسية. لسوء الحظ أنّ الشخص الوحيد الذي تحدّثت إليه هو ايللي إذ جذبتها المرأة الأكبر سناً جانباً «لتحذّرها» من غاريك. فقد ارتكب العديد من المعاصي بحسب أخته، بما فيها اهمال واجباته اتجاه عائلته وموقعه في المجتمع فضلاً عن عدم إعطائها حصتها العادلة في شركة أبيها.

انعطف غاريك بسيارته نحو الشارع الذي تقيم فيه ايللي وركنها تحت أحد الأضواء. كان الضوء خافتاً في ظلمة الليل لكنه كافٍ كي ترى تعابير وجه غاريك الجادة حين استدار نحوها.

قال بهدوء: «أعتذر عما صدر عن دورين».

كلماته فاجأتها: «ليس عليك أن تفعل، فهي لم تزعجني».

رمقها بنظرة مشككة: «أحقاً؟ ألم يزعجك أن تستجوبك بشأن عائلتك وأن تعلّق على سلوكك وأن تعاملك بجفاء؟».

- لا. في الواقع، أنا أشعر بالأسف حيال أختك.

- بالأسف؟ ما معنى هذا؟

- رأيت امرأة تعيسة ووحيدة، تحاول جاهدة أن تجد لنفسها مكاناً في هذه الحياة. يبدو أنها لم تفهم أن المال لا يمكن أن يشتري لها السعادة.

حدّق فيها: «أتظنين حقاً أنّ شخصاً معدوماً يمكن أن يكون سعيداً بقدر شخص ثري؟».

فكّرت ايللي في بعض المشقات التي واجهتها منذ وصولها إلى شيكاغو. . . واعترفت: «أفترض أنّ المال قادر على تسهيل الحياة، لكن ألم تلاحظ يوماً أنّ الناس يرغبون دوماً في الحصول على المزيد من المال مهما بلغ ما لديهم؟ إنهم لا يرضون أبداً بما لديهم».

حملق فيها بتعبير غريب لم تستطع تحديده. وتوقّعت منه أن يجادلها، أن يسخر من سذاجتها وبساطتها، لكنه قال وهو ينظر من الزجاج الأمامي: «لطيف منك أن تقولي إنّ دورين لم تزعجك، لكني أعلم أنّ هذا غير صحيح. لاحظت كم كنت عصبية».

نظرت إليه متفاجئة. ما الذي يتحدّث عنه؟ لم تكن عصبية. لعلها شعرت بالغضب إلّا أنها لم تكن عصبية.

- هل بدوت عصبية؟

- نعم.

والتفت إليها يتأملها عن كثب: «لاحظت ذلك، لأنني منذ عرفتك، وفي كافة المطاعم التي اصطحبتك إليها، لم أرك يوماً تستعملين الشوكة الخطأ».

أشاحت بنظرها قليلاً ثم عادت وابتسمت ابتسامة شقية: «حسناً، لعلي استفزيت أختك قليلاً. ما كان عليّ أن أفعل هذا».

لم يعلّق بل ترجّل من السيارة في الرياح العاصفة وفتح لها بابها ثم رافقها إلى شقتها ركضاً. أمسك بيدها بعد أن احتميا من الرياح والمطر وسألها: «هلّا خرجت لتناول العشاء معي غداً؟».

حدّقت في اليد الكبيرة التي تحبس راحتيها. هل يظن أنها تستطيع أن تتجاهل كل ما فعله؟ هل يظن حقاً أنهما يستطيعان أن يكملا الطريق وكأن شيئاً لم يكن؟

- لا.

ثم ثبتت نفسها متوقعة منه أن يجادل أو أن يحاول معانقتها، إلّا أنه نظر إليها مقطباً للحظات طويلة ثم رفع يدها فجأة إلى شفتيه وقبّلها على ظهر قفّازها بخفة.

بعدئذ، رحل من دون أن ينطق بكلمة، تاركاً إياها تشعر بالغضب، والاستياء... والارتباك.

عاد غاريك إلى منزل أخته ليجدها تقيس بخطواتها بلاط البهو الرخامي.

بادرته بنبرة اتهامية: «ها قد عدت! يفاجئني ألّا تمضي الليل بطوله مع صديقتك الصغيرة».

- ربما كان عليّ أن أفعل.

رمقته دورين بنظرة حادة: «ما الذي يجري بينك وبين تلك الفتاة؟».

- لا شيء. لا شيء أبداً.

- لكنك تودّ ذلك، أليس كذلك؟

- أهذا السبب طلبت مني أن أعود الليلة؟ كي تستجوبيني بشأن علاقتي بايللي؟

- نعم... لا! طلبت منك أن تعود لكي أخبرك برأيي فيك أيها اللعين! ما كان عليّ أن أدعك تقنعني بإقامة هذا المزاد... لو لم أكن بحاجة ماسة لذاك المال... ما الذي سيقوله أصدقائي الآن!

قال غاريك ببرودة: «يبدو لي أنّ أصدقاءك استمتعوا بوقتهم».

- لا، لم يفعلوا وذلك بسبب صديقتك وذاك الفنان الفظيع. عندما كشف النقاب عن تلك اللوحة المنحرفة... وأنت! لم تكن ذا فائدة إذ رحت تضحك. شعرت بأني سأموت، سأموت فعلاً. كنت تعلم مدى أهمية هذه الأمسية بالنسبة إليّ... ورغم هذا لم تكلّف نفسك عناء ارتداء ربطة عنق لائقة!

نظر إلى ربطة العنق المقصودة وقال: «بدأت أحبها. إنها هدية من ايللي».

- لا يفاجئني هذا. لا يمكنك أن تكون جاداً بشأن هذه الفتاة... لا تدّعي أنك لا تعرف ما أقصده. رأيت كيف كنت تنظر إليها طيلة السهرة. اعترف بأنها ملفتة وجذابة بطريقة دون المستوى، لكنها غير مناسبة لطبقتنا. انظر إلى عائلتها وحسب... أمها عاملة تنظيفات، وأبوها بائع سيارت مستعملة، وعمّها صانع تاكو. من يعلم ما هي التفاصيل البغيضة التي سنكتشفها عن خلفيتها؟

سيكتشفون أمراً واحداً إضافياً إذا ما صحّت شكوكه. هذا ما خطر لغاريك وهو يتذكر صورة والديّ ايللي في غرفة نومها.

نظر إلى اخته. لو دار هذا الحديث بينهما في الأمس لثار غضبه. أما الآن، وبعد حواره مع ايللي، فلم يستطع أن يفكّر إلّا في ما قالته. ولاحظ الأثلام العمودية الصغيرة فوق شفة دورين العليا والتي تعكس مرارتها وعدم رضاها وتساءل عما جعلها هكذا. وقال بصوت عالٍ: «بدت ايللي منسجمة تماماً مع محيطها الليلة».

- كانت محتملة، لأن أصدقائي أكثر تهذيباً من أن يعلّقوا على وجودها. عليك أن تحترس منها فأنت تعلم أنها لا تهتم إلّا بمالك. هل رأيت كيف كانت تنظر إلى الأثاث، كما لو أنها تقوّم ثمنه؟

قال غاريك: «أنت لا تعرفينها».

- أعرفها تماماً. نوعها واضح. إنها من النوع الذي يحمل لتجبر الرجل على الزواج بها.

- لا، إنها من النوع الذي لديه قريب يجبرها على الزواج برجل بقوة السلاح.

فغرت دورين فمها: «ما الذي تتحدّث عنه؟».

وارتسمت ابتسامة غامضة على وجه غاريك حين رأى نظرة دورين المشدوهة وقال: «أقول يا أختي العزيزة إنّ الأوان فات، وتحذيرك جاء متأخراً فأنا وايللي متزوجان».

١٢ - زلة لسان

نظرت ايللي إلى الزرافة متمنية لو تستطيع أن تلوي عنق غاريك حتى يبدو كتوأم للحيوان المحبوس في القفص قبالتها. سألت وهي تلتفت إلى المخلوق الذي يثير غضبها والذي يقف إلى جانبها: «لِمَ لم توقّع أوراق إبطال الزواج؟».

هزّ كتفيه وقادها إلى الحظيرة الأخرى من دون أن يجيب عن سؤالها... وخطر لها أنها عادة أخرى من عاداته السيئة. عندما اتصلت بمكتبه هذا الصباح وطلبت التحدّث إليه، جعلتها مساعدته تنتظر ثم عادت لتقول إن غاريك مشغول جداً حالياً، إنما سيسرّه أن يقابلها في موعد الغداء في أيّ مكان تختاره.

حينذاك، قالت لها ايللي بعذوبة: «إما أن يرد على اتصالي الآن وإما أن يلاقيني في حديقة الحيوانات».

لم يخطر لها أنّ القرد الضخم سيوافق على اقتراحها. وتملّكتها رغبة في ألّا تلاقيه في الموعد... ولعلها كانت لتفعل لو أنّ المسألة ليست مهمة جداً.

سألته مجدداً: «لِمَ لم توقّع الأوراق؟».

- ثمة مشكلة طفيفة.

ورمى حبة فستق لأحد السعادين الأفريقية القبيحة. وخطر لايللي أنه على الأرجح أحد أقاربه: «ما هي هذه المشكلة؟».

- مسألة قانونية أحتاج لأسبوع أو أسبوعين لتصحيحها.

رددت من بعده بانشداه: «أسبوع أو اثنين؟».

www.elromancia.com

خلال الأيام القليلة الماضية، ومنذ حفل العشاء الذي أقامته دورين تارينغتون في منزلها، وايللي تشعر وكأنها وقعت في الفخ. أولاً، تدفّق الزبائن إلى المعرض... زار معظم الضيوف الذين شاركوا في حفل العشاء فضلاً عن عدد من أصدقائهم صالة فوغل واشترى كل واحد منهم عملاً فنياً واحداً على الأقل.

كان يفترض بايللي أن تُسرّ أيضاً، وقد كانت مسرورة إنما تمنّت لو أن غاريك ليس المسؤول عن نجاح المعرض المفاجئ. لم تشأ أن تدين له بشيء وأن تشعر نحوه بالامتنان، حتى أنها لم تشأ أن تفكر فيه، لكن من الصعب ألّا تفعل، لا سيّما بعد الزيارة التي تلقتها بالأمس.

كانت ايللي قد فتحت أبواب الصالة لتوّها عندما رن جرس الباب ودخلت فتاة مراهقة. بدت الفتاة الطويلة القامة، ذات العينين الرماديتين العدائيتين، مألوفة قليلاً، لكن ايللي احتاجت لبضع لحظات لتتذكر أين رأت هذا الوجه النحيل وهذا الشعر البني الأملس من قبل.

سألتها ايللي: «أنت كارين تارينغتون، أليس كذلك؟».

بدت الفتاة مصدومة ومن ثم مشككة: «كيف عرفت؟».

- أراني خالك صورة لك ذات مرة.

- أحقاً؟

التمع شعور ما في عينيّ الفتاة إنما للحظة قصيرة وحسب وتابعت: «لم أكن أعلم أنّ لديه صورة لي. لا بد أن أمي أعطته صورتي المدرسية الغبية. أستغرب ألّا يكون قد رماها».

وتأملت الصالة ومحتوياتها بازدراء مضيفة: «يا لها من خردة!».

فكرت ايللي ساخرة في أنّ الفتاة ساحرة بقدر والدتها: «يبدو أنّ عائلتك كلها مجمعة على هذا الرأي».

حدّقت كارين في كرسي مغطى بقطع الزجاج وقالت: «نعم، أمي مستاءة جداً، فهذا سيقضي على فرصتها في أن يُدرج اسمها في السجل الاجتماعي. هل يُفترض أن يجلس المرء على هذا الكرسي؟».

رمشت ايللي: «لا، إنه للزينة وحسب. ما علاقة فوغل بأمك والسجل الاجتماعي؟».

- لهذا السبب طلبت أمي من خالي غاريك أن ينشئ مؤسسة ترعى الأعمال الفنية. كي يُدرج اسمها في السجل الاجتماعي. خالي غاريك يرى أنها فكرة غبية.

لِمَ لم يرفض طلبها إذن؟.

- لم يستطع، إذ هددته بإفساد صفقة كان يعمل عليها. كان خالي غاريك مغتاظاً جداً رغم هدوئه الظاهر.

حدّقت ايللي في كارين مرعوبة: «كيف تعرفين هذا كله؟».

- تجادلا ليلة الميلاد. تجادلا طويلاً. خالي غاريك يكره أمي.

قالت ايللي على الفور: «أشك في ذلك».

لكنها عادت وتوقّفت عن الكلام للحظة قبل أن تقول بتمهل: «أظنه غاضب منها لأنها تحاول إلحاق الأذى بعمله».

هزّت كارين كتفيها: «الأمر سيّان. إنه بالكاد يزورنا في هذه الأيام».

- هل اعتاد ان يزوركما؟

- نعم، عندما كنت صغيرة. كان يصحبني إلى الحديقة وإلى مباريات البيسبول. كما أنه أخذني إلى حفل موسيقي أقامته الاوركسترا السمفونية.

- الاوركسترا السمفونية؟

- نعم بمناسبة عيد ميلادي الثالث عشر. اشترى لي ثوباً أبيض مخرّماً مع عقدة زرقاء من الساتان.

وغاب التعبير الساخر مجدداً ليظهر مكانه شعور صافٍ، مجرد. وللحظة، بدا وجه الفتاة مليئاً بالحزن والكآبة، وبتوق وحنين شديدين، ما جعل ايللي تحبس أنفاسها. بعدئذ، أنزلت القناع من جديد وشخرت هازئة: «كرهت الثوب والحفل الموسيقي الغبي، ولم يعد خالي غاريك يزورنا منذ ذاك الحين بحجة أنّ لديه الكثير من العمل».

www.elromancia.com

قالت ايللي بلطف: «لعل هذا صحيح».

هزت كارين كتفيها مجدداً: «نعم، صحيح. لكنه على الأقل يشتري هدايا جيدة. أهداني كمبيوتر في عيد الميلاد كما اشترى لأمي عقداً من الزمرد والياقوت. في الواقع، وجدت العقد قبيحاً لكن أمي لم تأبه فهي تبدّل كل ما يشتريه بالمال».

وتذكرت ايللي العقد المبهرج مصدومة. لقد تخيّلت أن أخته ستقدّر الحلية البشعة على أنها لفتة مودّة منه... إنما يبدو أن المرأة لا تهتم إلّا بالقيمة المادية. هل يعرف غاريك هذا؟ على الأرجح. يبدو جلياً أن غضبه من أخته يعود إلى زمن بعيد. لكن الغريب أنها شعرت وعلى الرغم من كل الغضب والمرارة، أنه يهتم لأمر دورين فعلاً...

وسألت الفتاة: «إذن، ما القصة هنا؟ هل أنت خالتي الآن أم ماذا؟».

جمدت ايللي مكانها: «ما الذي تتحدّثين عنه؟».

- أنت وخالي غاريك متزوجان الآن؟ لقد أخبر أمي الليلة الماضية.

وقع الخبر عليها كالصاعقة.

كان يفترض بتحذير كارين أن يحضّر ايللي للاتصال الهاتفي الذي تلقّته بعد مغادرة الفتاة بقليل... لكنه لم يفعل. تذكّرت المحادثة البغيضة، وسألته: «هل كان عليك أن تخبر أختك؟».

رمقها غاريك بنظرة: «أفترض أنها أزعجتك كثيراً».

وازداد سخط ايللي للذكرى: «لن أكرر الصفات التي وصفتني بها! وعندما تمكّنت أخيراً من تهدئتها بما يكفي لأشرح لها أن الزواج باطل، وأننا لسنا متزوجين فعلاً، نعتتني بالكاذبة!».

همس: «أنا آسف».

نظرت إليه نظرة ارتياب: «إنما لما أخبرتها؟».

- إنها مجرد زلة لسان.

تمسّكت ايللي بالحاجز الحديدي وقالت: «لم تبدُ لي يوماً كرجل قد يزل

لسانه».

- لعلك لا تعرفيني جيداً كما تظنين.

- أعرفك بقدر ما أريد أن أعرف.

- هل أنت واثقة يا ايللي؟ لِمَ لا تمنحيني فرصة ثانية؟

- ولِمَ أفعل ذلك؟

- لا أعلم.

ومرر أصابعه في شعره قبل أن يضيف: «كل ما أعرفه هو أنني لا أريدك أن تختفي من حياتي حتى يتسنّى لنا استكشاف هذا الانجذاب بيننا».

حملقت فيه: «أهذا كل ما في الأمر؟ أما زلت تأمل في أن تتمكّن من معاشرتي؟ حسناً، لن تفعل. لن أشاركك فراشك حتى لو اقتربت نهاية العالم. لن أشاركك فراشك حتى لو توقّف مصير الجنس البشري على ذلك. لن أشاركك فراشك...».

قاطعها قائلاً: «حسناً، حسناً، فهمت».

- أظن أنك لا تعرف كيف تكون صديقاً لامرأة.

- يمكنك أن تعلميني.

- لا أريد أن أعلمك شيئاً.

وتوجّهت نحو الباب المؤدّي إلى الخارج. صفعتها الرياح القارسة وهي تسير في ممر ملتو. وبعد لحظات صمت أضافت: «لديّ قناعة بأنّ الجنس قبل الزواج خطأ. وفلسفتي الجديدة في الحياة هي أنّ خاتم الزواج يسبق الجنس. فما رأيك في هذا؟».

- ما زلت أريد ان أخرج معك.

لا بدّ أنه لم يسمعها. وعادت تقول: «ما من جنس. كما لا أريدك أن تنفق الكثير من المال. هل تستطيع أن تتعايش مع هذه الشروط؟».

ردّ بخنوع: «نعم».

لم تصدّقه. سيتعب من علاقة لا تقوم إلّا على الصداقة. وشكّت في

أن يحتمل أكثر من شهر، هذا إذا ما فعل.

نظرت إليه فيما هما يقتربان من حظيرة مسيّجة في الهواء الطلق، وقالت: «سيتم عرض فيلم أجنبي في الكلية نهار السبت وهناك عرض في حديقة غارفيلد الأسبوع المقبل يمكنك أن ترافقني إليهما».

أجفل قليلاً لكنه عاد وأومأ برأسه موافقاً.

كررت: «أنت تفهم الشروط».

أومأ برأسه مجدداً.

واستدارت تنظر إلى الحيوانات في الحظيرة بعد أن شعرت بالرضا لقبوله بشروطها.

١٣ - ولى زمن المعجزات

- إذن، ما رأيك؟

طرحت عليه هذا السؤال بعد شهر، خلال فترة الاستراحة في الحفل الموسيقي المجاني الذي أقيم في الكلية، فرد وهو يستدير لينظر إلى ايللي: «سأكون صادقاً تماماً وأقول إنه مضجر للغاية».

رأى الصدمة ترتسم على وجهها. وحدّقت فيه وقد زمّت شفتيها في تعبير يدل على الاستنكار، لكن فمها رقّ بعد لحظات وضحكت قائلة: «أنت صادق على الأقل، لكنك مدلل لغاية. أنت معتاد على الترفيه السهل. عليك أحياناً أن تبذل بعض الجهد».

- بعض الجهد؟ كيف؟

- تتعلّم عن الموسيقى لتقدّرها، تتخيّل قصة فيما هي تعرض على المسرح. ما الذي شعرت به عند سماع الموسيقى التي عُزفت للتو؟

- النعاس.

ضحكت مجدداً إنما هزّت رأسها: «لم تبذل الكثير من الجهد».

- أوفّر جهدي وطاقتي للعمل.

نظرت إليه بحشرية: «هل هو الأمر الوحيد في حياتك الذي يستحق أن تجهد نفسك من أجله؟».

قطّب. كان ليرد بالايجاب لو طرحت عليه هذا السؤال قبل بضعة أشهر، أما الآن فلم يعد واثقاً: «إدارة شركة تتطلّب التزاماً تاماً. الفن والموسيقى عبثيان تماماً».

- أنت مخطئ، فالفن يعلّمك أن تراقب وأن تنظر إلى ما هو أبعد من

www.elromancia.com

السطح. والموسيقى تعلّمك، أن تسمع أبعد مما يقال.

وأعلن طالب أنّ الموسيقى ستبدأ مجدداً فلم تقل ايللي المزيد لكن كلماتها علقت في ذهنه خلال النصف الثاني من الحفل الموسيقي.

لعل العمل فقد بعضاً من جاذبيته. لطالما تطلّبت الشركة الكثير من وقته واهتمامه وهو لم يمانع قط من قبل إلّا أنه راح يشعر مؤخراً بشيء من عدم الرضا. كان يشعر وكأنه يسير في نفق مظلم، نفق يضيق ويضيق فيما هو يتقدّم. لم يعد قادراً على العودة إلى الوراء، لكنه شعر أحياناً أنه لو استمر في التقدّم، فستطبق عليه الجدران وتسحقه حتى يعجز عن التنفّس... لعل هذا هو السبب الذي يكمن خلف انجذابه إلى فكرة الخروج في مواعيد غريبة مع امرأة رسمت هي الحدود لعلاقتهما.

لم تكن ترضى بأن يصطحبها إلى أماكن مترفة ومكلفة؛ فزارا المتاحف وتابعا محاضرات وتناولا الطعام في مطاعم ذات أسعار زهيدة. ذكّره هذا قليلاً بطفولته قبل أن ينشئ والده شركته. كان والداه يصطحبانه هو وشقيقته كل يوم سبت إلى المطعم. لديه الكثير من الذكريات الطيبة عن دورين إذ كانت مختلفة حينذاك؛ فقد اعتادت أن تساعد أمها في الطهي وفي تنظيف منزلهم الصغير كما كانت تحب ابن جيرانهم الميكانيكي.

بعد أن أنشأ والده شركته الخاصة، تغيّرت الأمور كلها. سجّلت الشركة نجاحاً كبيراً وعمل والده لساعات طويلة وحتى خلال عطلات نهاية الأسبوع. وكانوا نادراً ما يرونه، لكن غاريك لم يلاحظ ذلك في بادئ الأمر. ففي تلك السنة الأولى، بدا كل يوم أشبه بصباح عيد الميلاد. وانتقلوا إلى إحدى ضواحي شيكاغو الراقية، وغرق والده في بحر العمل وبدأت أمه مشاريعها الخاصة. وتزوّجت دورين غرانت تارينغتون الارستقراطي، وانبهرت وتأثرت بولعها بالمجتمع الراقي.

هزّ غاريك رأسه والتفت نحو ايللي. كانت ترتدي سروالاً من الجينز وكنزة بدلاً من ثوب السهرة، إلّا أنها جلست مستقيمة كما فعلت في حفل الاوركسترا السمفونية، تستمع إلى الموسيقى باستمتاع جلي.

لم تبدُ يوماً متأثرة بالثراء أو المكانة وذلك خلافاً لدورين. وتساءل كيف اكتسبت هذا الاتزان، فهي لم تعش حياة سهلة بالتأكيد. لقد عرف الكثير عن عائلتها في هذا الشهر الأخير... كيف حضر والدا أمها وأقاربها إلى هذا البلد من المكسيك، وكيف عملوا جاهدين ليتعلّموا ويجدوا وظائف.

إنما وبقدر ما تحدّثت ايللي عن أقاربها وأولادهم، إلّا أنها نادراً ما تحدّثت عن امها وأبيها. القليل الذي عرفه هو أن والدها أحب الفن والكمان، وفشل في كل عمل جرّبه تقريباً.

كانت والدتها لطيفة ومحبّة وحنوناً، إنما أرهقها أن تكون المعيل الوحيد تقريباً لعائلتها الصغيرة. وفي كل صيف، كانت تصطحب ايللي لزيارة عائلتها في شيكاغو. خمّن غاريك أنّ والديها لم يتزوجا يوماً، وقد استنتج هذا من واقع أنها تحمل شهرة والدتها ومن قلة كلامها عن عائلة والدها. كما استنتج أيضاً أنّ القلق والشك شكّلا جزءً كبيراً من سنوات حياتها الأولى. وخمّن أيضاً أن اضطراب طفولتها هو ما شكّل صفتين أساسيتين من صفاتها: حبها لعائلتها وقدرتها على الاستمتاع حتى بأبسط النشاطات والتسليات. بدا أنها تستمتع بكل وجه من أوجه حياتها.

تململ غاريك على الكرسي القاسي. لعل هذا هو سر سحرها إذ لم يستطع أن يجد تفسيراً آخر. لقد حافظ على كلمته على مدى الأسابيع الأربعة الماضية، فلم يحاول أن يقبّلها أو يلمسها، حتى لو قتله ألّا يفعل ذلك أحياناً. كان يشعر بها طيلة الوقت في المحاضرة التي حضراها الأسبوع الماضي، فالكراسي قريبة من بعضها البعض إلى حدّ أنها احتكت به كلما تحرّكت. ووجد صعوبة فائقة في الاستماع إلى المحاضر إلّا أنه بذل جهداً ليركّز إذ علم أنها ستطرح عليه أسئلة لاحقاً.

وكان يفكر فيها عندما توجّه في الليلة التالية إلى منزل دورين وعرض على كارين أن يساعدها لتشغل جهاز الكمبيوتر. لم تكن الزيارة ساحرة

تماماً . . . فكارين لم تبدِ أيّ تعاون وبقيت متجهمة طيلة الوقت . . . أما ايللي فبدت مسرورة عندما أخبرها عن هذه الزيارة.

وأكدت له: «لا يمكنك أن تتوقّع المعجزات، لا سيما مع فتاة مراهقة».

- لكن، لِمَ تبدو دوماً غاضبة؟

- لعلها لا تجيد التعبير عن مشاعرها أو لعلها تخشى ذلك.

- أتعنين أنّ عليّ أن أستسلم وأنتظر حتى تتجاوز سن المراهقة وتصبح راشدة؟

- يمكن أن يعاني الراشدون من المشكلة نفسها.

ورمقته بنظرة ذات معنى فقطّب إذ بقي عاجزاً عن فهم ما ترمي إليه. وتنهّدت قبل أن تضيف: «فكّر في المسألة كإطلاق مشروع ما. لن تعمل ليوم واحد وتتوقع أن تجني الدولارات، أليس كذلك؟ عليك أن تعمل طويلاً وتبذل الكثير من الجهد لتبدأ بجني الأرباح. العلاقة تقوم على المبدأ نفسه».

وعلقت كلماتها في ذهنه مجدداً. وعرض مساعدته على كارين مرة أخرى. . . حتى أنه بقي لتناول العشاء معها ومع دورين.

تصرفه هذا فاجأ دورين وأذهلها. تخلل الوجبة الكثير من النظرات الحذرة والصمت المريك، لكنها دعته لتناول العشاء في الأسبوع التالي حيث سارت الأمور بشكل أسهل. وأخبر كارين عن أحد أصدقاء دورين الذي جاء إلى المنزل ليصحبها في موعد.

وفيما كانت دورين تستعد، رافق غاريك، الفتى الصغير حينها، جو بولاسكي إلى غرفة الجلوس وراح يسأله عن عمله، وعن خططه المستقبلية.

استمعت كارين إلى القصة من دون أن يرتسم على وجهها أيّ تعبير فيما نشقت دورين بازدراء ونعتت غاريك بالمزعج. . . لكنها عادت وابتسمت بشكل غير متوقّع. وبادلها الابتسام. وفجأة، أخذا يضحكان

معاً في حين حدّقت فيهما كارين بعينين واسعتين، غير مصدقتين وفم فاغر.

وعلا التصفيق قاطعاً حبل أفكار غاريك. التفت نحو ايللي ليجدها تصفّق بحرارة. لديها طريقة في الشرح تجعل الأمور تبدو واضحة وبسيطة جداً لكنه يشعر في الوقت عينه بالتشوّش والارباك حين يكون معها. ساوره وهو ينظر إليها الشعور نفسه الذي يتملكه حين ينظر إلى «المرأة ذات الثوب الأزرق». وكاد يرى ذلك. كاد يدركه. كاد. . .

وخفض غاريك نظره يتأمل ايللي. كان رأسها بالكاد يصل إلى ذقنه حتى وإن انتعلت حذاء بكعبين عاليين. إنها صغيرة وقصيرة جداً. . . إنما أصبحت بطريقة ما مهمة جداً في حياته.

سألها رافعاً صوته لتسمعه وسط ضجة الكراسي المعدنية: «هلا وافقت على تناول العشاء معي؟».

رمقته بنظرة من فوق كتفها فأضاف مبتسماً: «في مكان غير مكلف، أعدك بذلك».

وللحظة، رأى ابتسامة في عينيها لكنها سرعان ما اختفت فيما أشاحت بنظرها. وردّت: «لا أستطيع، فلديّ مشاريع أخرى».

تلاشت ابتسامته وأمسك بذراعها يسألها: «هل أنت على موعد مع شخص آخر؟».

- لا، ليس تماماً.

وحدّقت في الرجل الواقف أمامها وأردفت: «إنه عيد ميلاد اليسا، وسيقيم لها والداها حفلة».

- فهمت.

تململت ايللي عند سماع النبرة الباردة في صوته وفكرت في دعوته لكنها عادت وقررت ألّا تفعل. لا يمكنها تخيله مع أسرتها، فهم ليسوا أغنياء. إنهم يعملون بجد، وهم أناس محترمون، إلّا أنها لا تعرف كيف يمكن أن يكون ردّ فعله حيالهم. منذ شهر، كان لينظر إليهم بغطرسة، لكنها اليوم

لم تعد واثقة تماماً.

لقد فاجأها كثيراً خلال الأسابيع القليلة الماضية. الآن وقد زالت الغشاوة، وعرفت من هو فعلاً، توقعت أن يمحو قضاء الوقت مع غاريك أيّ مشاعر تكّنها له. إلّا أنها لاحظت تغيّراً فيه. لم يعد سريع الانفعال كما في السابق، كما لم يعد يحاول أن يفتنها... لكن، وبدلاً من أن يقلّ إعجابها به، وجدت نفسها تُعجب به أكثر. ولم يعد يبدو حذراً، والبعد الذي كانت تشعر به أحياناً بدا وكأنه اختفى تقريباً. لم يكن يظهر إلّا في المناسبات كما حصل الآن. إلّا أنها هذه المرة، وخلافاً للماضي، أدركت ما يعنيه سلوكه... لقد آلمته. أزعجتها النظرة في عينيه أكثر مما ودّت أن تعترف حتى لنفسها. إنه يحاول فعلاً وجاهداً أن يبني علاقة جيدة بأخته وابنتها، إلّا أنه يخوض صراعاً صعباً. كان يبدو وحيداً... أحياناً وكأن ليس لديه عائلة أبداً.

لكن لعله يفضّل أن تجري الأمور على هذا النحو. لعله سيكره حضور عيد ميلاد فتاة في الرابعة عشرة من عمرها. إنما... افترضت أنّ ما من ضرر في أن تسأله. سيرفض على الأرجح لكنها ستكون قد سألته على الأقل... سألته عندما خفّ الحشد قليلاً: «هل ترغب في مرافقتي؟».

توقّف وحدّق فيها بتعبير وجدت صعوبة في تفسيره فأردفت على الفور: «لست مضطراً لذلك. سيكون الوضع محرجاً على الأرجح، فروبي سيحضر. وعلى الرغم من أني جعلته يعدني بألّا يخبر أحداً بما حصل، إلّا أنّ لسانه قد يزل...».

ضغط بإصبعه على شفتيها: «سيسرّني أن أرافقك».

ورفع إصبعه على الفور إنما بعد أن شعرت بوخز طفيف. أحست بشفتيها جافتين وأرادت ان ترطبهما بلسانها إلّا أنها لم تفعل بعد أن لاحظت كيف ينظر إلى فمها.

تمنت لو تنسى تماماً ما شعرت به حين عانقها. تمنت لو أن قلبها لا

يرقص طرباً حين ترى العزلة تتلاشى من عينيه.

وتمنت لو أنها أبقت فمها مطبقاً. وتعاظم هذا الشعور عندما وصلا إلى منزل أقاربها ووجدا روبي على الشرفة الأمامية. وقف وقد ضاقت عيناه عند رؤية غاريك، لكنه عاد وابتسم وربّت على ظهر الرجل قائلاً: «كيف الحال يا قريبي؟».

فقالت ايللي: «ليس قريبك. وتذكّر ما وعدتني به».

- حاضر يا ايللي. ادخلا، فالكل موجود.

استرخت ايللي بعض الشيء. سيشعر الكل بالفضول حيال غاريك وآخر ما تريده هو أن يكتشفوا مسألة «زواجها» السخيفة...

أعلن روبي ما أن دخلا إلى غرفة الجلوس المليئة بالضيوف: «انظروا من وصل... إنها ايللي وزوجها الجديد!».

بعد ساعات عدة، شعرت ايللي بإرهاق شديد فقد أمضت السهرة كلها تشرح مراراً وتكراراً أنها وغاريك ليسا متزوجين، وأنها مجرد دعابة من روبي. لكن على الرغم من تفسيراتها، بدا أن الجميع ما زال يعتقد أن غاريك زوجها.

وقف روبي قرب الطاولة، يسكب الطعام في صحنه. فقال لها: «علمت أنه الرجل المقدّر لك يا ايللي. علمت ذلك ما أن ضربني».

قد تُقدم على ضرب قريبها هي أيضاً إن لم يصمت والتفتت من حولها تبحث عن غاريك. كان يراقص آليسا التي بدت وكأنها في النعيم. ضحك غاريك لشيء ما قالته الفتاة ثم رفع نظره والتفت لينظر عبر الغرفة إلى ايللي مباشرة.

التقت عيونهما فابتسم لها ثم عاد بانتباهه إلى اليسا التي يراقصها.

أخذت ايللي نفساً حاداً وقد شعرت بدوار، وشعرت بغثيان شديد. وفي أقل من ثانية، أدركت الحقيقة، الحقيقة التي حاولت إنكارها.

إنها تحبه.

إنها تحب غاريك ويسنوسكي رغم كل ما حصل.

قال وهو يوصلها إلى منزلها في وقت متأخر من ذاك المساء: «أحببت عائلتك. أنت محظوظة إذ لديك عائلة كهذه».

قالت: «نعم، أعرف».

كانت تعلم هذا. إنما لما كان عليه أن يكتشف هذا أيضاً؟ رجل أعمال قاس مثله يجب ألّا يرى أبعد من المنزل الصغير والملابس المتواضعة وألّا يرى الحب والفرح اللذين تختزنهما عائلتها. لكنه فعل.

حدّقت من النافذة في المنازل التي يمران بها. ما كان عليها أن توافق على الخروج معه، إنها حمقاء فعلاً. لكن أنّى لها أن تعرف أن قلبها سيخونها؟ إنه متعجرف وقاس وسيء الطباع. ظنت أنها لا يمكن أن تقع في حب رجل كهذا لكنها أدركت خلال الأشهر القليلة الماضية أن الواجهة القاسية ليست طبعه الحقيقي، بل هي واجهة لحماية نفسه لئلا يتعرّض للأذى.

وقد جُرح. لعله لم يتعرّض لصدمات قوية وقاسية بل لجروح صغيرة وعميقة. لم يعرف غاريك ويسنوسكي الكثير من الأناس الطيبين واللطفاء في حياته، فكلما تحدّث عن والديه أو عن أخته أو عن خطيبته السابقة، خلا وجهه من أيّ تعبير. إنما في الأسابيع القليلة الأخيرة، وبعد أن خفف تدريجياً من حذره واحتراسه، استطاعت أن ترى أحياناً الألم والارباك في عينيه. كانت ترغب أحياناً في أن تأخذه بين ذراعيها وتضمه إلى صدرها بقدر ما تستطيع من قوة.

لا بدّ أنه سيروّع إذا ما عرف ما تفكّر فيه. سيسخر من فكرة أنه تعرّض للأذى، وهو يشبه ابنة أخته كثيراً من هذه الناحية... فكلاهما مصمم على سحق أيّ شعور وكافة الانفعالات. ورأت ايللي أنهما اعتادا كبت مشاعرهما بحيث يجدان حالياً صعوبة في الاعتراف بها، فكيف بالتعبير عنها. وشكّت في أن يتحدّث غاريك طوعاً عن مشاعره. ولن يعترف يوماً بشيء سخيف كالحب. لن يتنازل أبداً عن دفاعاته ويجعل نفسه عرضة للأذى.

وصلا إلى شقتها ورافقها حتى الباب. قال ونور المدخل يضيء وجهه الذي يبتسم لها: «أشكرك مجدداً على دعوتك. سأمر لاصطحابك غداً عند الظهر».

قالت وقد شعرت بحاجة ماسة لحماية نفسها: «أنا... لا أستطيع أن أراك غداً».

قطّب وسألها بحدّة، غير قادر كعادته على تقبّل رفضها برحابة صدر: «لِمَ لا؟».

كذبت عليه: «قال عمي إنه يعاني من نقص في اليد العاملة من المطعم، فوعدته بأن أساعده غداً».

ازداد تقطيبه عمقاً: «ألا يستطيع عمك أن يجد شخصاً آخر؟».

- الكل مشغول.

- هذا غير مقبول.

تشنّجت: «ماذا تعني؟».

- أعني أني لا أريدك أن تعملي في قصر التاكو.

ردّت على الفور وبحدّة تماثل حدّته: «أنت لا تريدني أن أعمل هناك؟ لا يحق أن لك أن تملي عليّ ما أفعله».

- أنا رب عملك. لا أريدك أن تحضري إلى صالة العرض نهار الاثنين وانت متعبة إلى حدّ يمنعك من العمل.

- كان عليّ أن أعرف. أنت قلق على العمل. حاشا لله أنّ أفسد صفقة لأني تثاءبت في وجه الزبون. يبدو أنك لن تتغيّر أبداً. لا أعرف لما خطر لي يوماً أنك قد تتغيّر.

وشبكت ذراعيها على صدرها، محاولة حماية نفسها من الريح وأردفت: «ارحل وحسب».

- لا، أريد التحدّث إليك.

- حسناً، لا أريد سماع ما لديك لتقوله.

شحب وجهه، وأضحى صوته شرساً: «هذا مؤسف لأنك ستضطرين

للاستماع إليّ».

صرخت: «أضطر؟ لماذا؟».

- لأننا سنتزوج... بشكل فعلي هذه المرة.

١٤ - عرض زواج

حملقت فيه ايللي بذهول: «هل تطلب يدي للزواج؟».

- نعم.

لم يكن الرد الذي خرج من بين شفتيه المطبقتين رومانسياً تماماً: «يبدو كأمر وليس كطلب».

- ايللي... أنا... في الواقع... آه، تباً!

وأغمض عينيه وأخذ نفساً عميقاً. وعندما فتحهما مجدداً، بدا لونهما أخضر داكناً.

- لا أستطيع أن أعيش من دونك يا ايللي. هلّا تزوجتني؟

كان الهواء البارد قد توقّف عن الصفير عند بداية خطابه غير المتناسق والمتلعثم. وعندما انتهى، تفرّقت الغيوم في السماء وارسل القمر شعاعه لينير المدخل. وتراقص الضوء على بشرتها وتسلل إلى عروقها، فجعلها تشعر وكأن النور ينبعث من داخلها. قالت لاهثة: «غاريك، آه غاريك!».

وارتمت بين ذراعيه. رأت التوتر الذي على وجهه يتلاشى فيما أضاء تعبير لم تره قط من قبل عينيه قبل أن تطبق ذراعاه عليها ويعانقها بقوة. بادلته العناق بالقوة نفسها حتى انقطعت أنفاسها. شعرت وكأنها ستطفو عن الأرض لفرط ما شعرت بالسعادة.

ضحك وقال: «هل يمكنك أن تكوني جاهزة في الغد؟».

طرفت بعينيها وقد تفاجأت ثم رددت بغموض: «غداً؟ لماذا؟».

- لزفافنا طبعاً.

www.elromancia.com

سألته لاهثة: «تريدنا أن نتزوج غداً؟ هذا مستحيل!».

انقبض حنكه بتلك الطريقة التي تعرفها حق المعرفة وقال: «لماذا؟».

أفلتت منها ضحكة مصدومة: «عليّ أن أشتري فستاناً، وأن أعطي مارتينا مهلة كافية للعثور على شريكة في الشقة، عليّ أيضاً أن أحصل على إجازة من العمل...».

- سأدفع الايجار لمارتينا ويمكنك أن تتركي عملك.

وهمس وقد استحالت عيناه داكنتين: «لا أستطيع الانتظار طويلاً يا ايللي».

اجتاحتها رعشة غريبة. لن تدعه يدفع الايجار ولن تترك عملها طبعاً. لكنها في الحقيقة لم تشأ أن تنتظر أيضاً: «امنحني أسبوعاً واحداً».

ظنت للحظة أنه سيرفض إلّا أنه قال: «أمامك أسبوع... لكني أحذّرك...».

والتمعت عيناه وهو يضيف: «بعد ذلك سأخطفك».

ضحكت وقالت: «لا يكفيني أسبوع. لذا، عليّ أن ألغي موعدنا في الغد».

- إذا ما كنت مصرّة، إنما عليك أن تعوضيني عنه الآن.

وعانقها بشدة حتى وجدا صعوبة في التنفّس. قال بصوت أجش وهو يسند جبهته إلى جبهتها: «لعله من الأفضل ألّا أراك خلال هذا الأسبوع إذ لا أستطيع الاحتمال أكثر».

فقالت وأنفاسها لا تزال مقطوعة: «لِمَ لا تدخل معي؟».

أرجع رأسه إلى الخلف، ويده على خدها فيما نظرة عينيه داكنة وجدّية: «ايللي... لأول مرة في حياتي، أريد أن أتصرف بشكل صحيح. وإذا ما رافقتك إلى الداخل فلن أضمن نفسي. ستتزوج أولاً».

كانت لتضحك على التصميم في صوته لو لم تضق حنجرتها بشكل لا يحتمل ومفاجئ. وهمست وهي تبتلع دموع السعادة الجنونية: «آه، غاريك».

دمدم: «لا تنظري إليّ بهذا الشكل وإلّا لن أتمكن من التحكّم بذاتي».

ثم قبّل يدها وأضاف: «لن أحتمل أن يمر أسبوع من دون أن أراك. يمكننا على الأقل أن نتناول الغداء معاً. ما رأيك في يوم الاثنين؟ تعالي إلى مكتبي قرابة الظهر».

أومأت موافقة، فضمها إليه مرة أخيرة ثم تركها ودس يديه في جيبيه وكأنما ليمنع نفسه من الامساك بها مجدداً. فدخلت إلى الشقة وأغلقت الباب، لكنها لم تستطع أن تقاوم رغبتها في الركض إلى النافذة لتراقبه. نزل السلالم إلى الرصيف وقد بدا طويلاً وقوياً ووسيماً.

افترضت أنه ما كان عليها أن توافق بهذه السرعة. بعد تلك الشكوك كلها، وتلك الاختلافات، كان عليها أن تطلب منه أن يمنحها بعض الوقت لتفكّر. إلّا أنها لم تتمكّن من التفكير. لقد فاجأها فغمرتها السعادة... سعادة عارمة، سعادة جارفة. إنها تحبه وهو يحبها.

كانت مقتنعة بهذا تمام الاقتناع.

وصل غاريك إلى مكتبه في وقت متأخر من صباح الاثنين وهو يصفر، ليجد لاري والسيدة غريست بانتظاره. ابتسم غاريك وقال بسرور: «صباح الخير سيدة غريست، لاري».

ردّت السيدة غريست بشكل متحضر فيما اكتفى لاري بالتحديق فيه بذهول.

تابع غاريك متجاهلاً صمت لاري: «سيدة غريست، هلّا ألغيت كافة مواعيدي لأسبوعين، لا بل اجعليها شهراً، اعتباراً من الأسبوع القادم لن أكون موجوداً».

بدت السيدة غريست مذهولة: «لكن ماذا عن الاجتماع مع محامي لاشلاند؟ يريدون دراسة تقرير المحاسب المستقل بالتفصيل».

فقال غاريك: «ليكن الاجتماع هذا الأسبوع. إذا لم يكونوا قادرين على الحضور، فاقترحي عليهم مؤتمراً عبر الهاتف».

قطّب لاري: «ماذا حصل؟».

نظر غاريك إلى الوجهين القلقين أمامه وأجاب: «لا شيء، باستثناء أني وايللي ستتزوج».

أفلتت من السيدة غريست اشارة تعجّب وقد أضاء وجهها كمئة ضوء: «حسناً، آن الأوان! تهانينا سيد ويسنوسكي. إنها شابة لطيفة وأنا واثقة من أنكما ستسعدان معاً».

بادلها غاريك الابتسام: «شكراً لكِ سيدة غريست».

ورمق لاري بنظرة. خلافاً للسيدة غريست، لم يبدُ لاري مسروراً بأخبار غاريك بل بدا قلقاً.

رفع غاريك حاجبه وسأل: «هل من مشكلة يا لاري؟».

ردّ لاري سريعاً: «ماذا؟ آه، لا تهانيّ. هل يمكنني رؤيتك في مكتبك؟».

- طبعاً.

والتفت غاريك إلى السيدة غريست مضيفاً: «ستأتي ايللي إلى هنا عند موعد الغداء. دعيها تصعد فور وصولها».

دخل غاريك مكتبه، وجلس إلى مكتبه ثم نظر إلى وجه لاري القلق: «نعم؟».

تردد لاري لحظة ثم شرع يقول: «هذه الفتاة... هل تعرف أي شيء عن وضعها المالي؟».

- لم أطلع على حساباتها المصرفية، لا.

ازداد تقطيب لاري: «أكره أن أكون صوت العقل والحذر إنما هذا جزء من عملي. عليك أن تجعلها توقّع اتفاقاً قبل الزواج».

وجاء دور غاريك ليقطب: «لا أظن أنّ هذا ضروري».

- لا بل ضروري. أنت تعلم تماماً أن خمسين بالمئة من الزيجات تنتهي بالطلاق...

- أنا لا أنوي أن أطلّق.

- ما من أحد ينوي ذلك يا غاريك. إنما تدرك أنّ الناس يتغيّرون،

والأمور تسوء، لا يمكنك دوماً أن تتوقّع ما ستكون عليه مشاعرك بعد خمس أو عشر أو خمس عشرة سنة.

قال غاريك بصوت بارد: «لن نطلّق. لكن حتى لو فعلنا فسأعامل ايللي بشكل عادل».

- نعم، أنا واثق من أنك ستفعل، لكن تحديدها للعدالة قد يكون مختلفاً عن تحديدك. صدّقني، بعد أربع تجارب طلاق، أنا أعرف عما أتكلّم. يمكن للنساء أن يكن حقودات عندما يغضبن.

- ايللي ليست كذلك.

- ربما... إنما سيحق لها بحكم القانون أن تضع يدها على جزء من موجوداتك كلها... وقد تسعى حتى إلى الاستيلاء على شركتك. أنت تدين بهذا لحاملي الأسهم، إن لم يكن لنفسك، لتحمي الشركة.

عبس غاريك، فما قاله لاري منطقي حتى وإن كره الاعتراف بذلك. لديه مسؤولية تجاه الشركة، ولا يمكنه أن يتجاهل ذلك لمجرد أنه سيتزوّج.

سأل بحدة: «كم تحتاج من الوقت لوضع مسودة اتفاق؟».

- عليّ أن أتشاور مع خبير بشؤون الزواج، وأحصل على كشف حساب مالي من محاسبك، وأضع جدول ملكية منفصلة وأنص تنازلاً عن أيّ حصة بالشركة... ربما من الأسلم أن نؤسس اتحاداً لحماية مصانع ويسنوسكي. لعلي أحتاج شهراً، وربما اثنين...

- لديك حتى يوم الخميس

- حتى يوم الخميس! لكن...

وتوقف لاري عن الكلام ثم قال: «حسناً، سأحضّره».

وغادر لاري فيما بقي غاريك يحدّق للحظات في لوحة «المرأة ذات الثوب الأزرق»، قبل أن يلتفت إلى تقرير المحاسب المستقل الموضوع على مكتبه. يمكنه أن يخمّن ما يحتويه. مشاكل، الكثير من المشاكل... كانت عملية شراء لاشلاند تتقدّم بهدوء... ربما بهدوء شديد.

www.elromancia.com

ورفع سماعة الهاتف ليقول للسيدة غريست بإيجاز: «سأضطر لتمضية النهار في مراجعة تقرير المحاسب. اتصلي بالآنسة هرنانديز والغي الغداء».

١٥ - لست غاضبة

كانت المعاملة التي لقيتها ايللي عند دخولها إلى مصانع ويسنوسكي نهار الخميس مختلفة تماماً عن تلك التي لقيتها في أول زيارة لها إلى ذاك المكان.

خيراً فعل غاريك حين ألغى موعد الغداء بينهما نهار الاثنين إذ كانت منشغلة للغاية طيلة النهار... ومن ثم يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء أيضاً. كان عليها أن تشتري ثوب عرس؛ وقد عثرت على ثوب أبيض جميل في متجر صغير على جادة ميتشغن، معروض بنصف سعره. كما رتّبت ايللي الأمور بحيث تحل برتريس محلها في صالة العرض أثناء وجودها في شهر العسل. كانت برتريس مترددة في بادئ الأمر لكنها عادت وغيّرت رأيها عندما عرفت الراتب الذي يدفعه غاريك.

وخطر لإيللي إنّ هذه هي سلطة المال. إلّا أنّ الفكرة لم تزعجها كما كانت تفعل من قبل، إذ أدركت أنها تستطيع أن تستخدم مال غاريك استخداماً حسناً. أصبحت تقدّر قيمة المال الآن بطريقة كانت عاجزة عنها منذ سنة، فمن السخافة أن تخشى الثراء. لا يمكن للمال أن يدمّر ما يجمعها هي وغاريك، وهي لن تدعه يفعل ذلك.

وأعادها هذا طبعاً إلى مشكلتها الأخرى... ثمة أمور قليلة عليها أن تخبر غاريك بها، أمور غير مرتبطة فعلاً بعلاقتهما، إنما يحق له أن يعرفها.

كانت تنوي إخباره نهار الاثنين لكن مساعدته اتصلت لإلغاء الموعد. لم تفكّر في المسألة كثيراً إذ تخيّلت أنه مشغول جداً، وتوقّعت أن يتصل بها عند المساء. لكنه لم يفعل، فشعرت بخيبة أمل وبالراحة في آنٍ معاً.

بعدئذ، مرّ نهار آخر من دون أن يتصل بها أيضاً فبدأت الشكوك تنتابها.

لِمَ لم يتصل بها؟ صحيح أنهما اتفقا على ألّا يلتقيا، إنما هذا لا يمنع الاتصالات الهاتفية، أليس كذلك؟ هل يعيد التفكير في قراره؟ وخطر لها الآن إنه لم يقل فعلاً إنه يحبها. لم تبدُ الكلمات ضرورية حينذاك، بل ظهرت مشاعره في تصرفاته، أليس كذلك؟

بالطبع ظهرت. إنها تتصرّف كامرأة مغفلة، ساذجة، عليها أن تتصل به...

وهكذا فعلت. بدا جافاً في البداية، لكنه وافق عندما قالت إنها تريد تناول الغداء معه.

قال: «لنلتقي غداً. ثمة ما أريد ان أتحدّث إليك عنه».

- وأنا أيضاً.

وترددت لحظة ثم سألت: «هل الأمور على ما يرام؟».

- نعم.

وصمت لحظة ثم أضاف: «لكني أكره هذا الانتظار اللعين».

الإحباط والتوق في صوته جعلا روحها تغرّد. وكانت تبتسم عندما وضعت سماعة الهاتف.

وخطر لها وهي تخرج من المصعد أنه يحبها. وهي تحبه أيضاً...

ابتسمت مساعدته التي كانت تتحدث عبر الهاتف عند رؤيتها وأشارت إليها بالدخول. دخلت ايللي بهدوء فرأته جالساً إلى مكتبه يقرأ بعض الأوراق.

يا إلهي كم تحبه! واكتسحتها المشاعر للحظة، فأحست بالارتعاش والابتهاج والسعادة لمجرد النظر إليه. كيف أمكنها أن تشك ولو لحظة؟

قالت والابتسامة ترتعش على شفتيها فيما هي تتقدم: «مرحباً يا عزيزي».

رفع نظره والتمع بريق في عينيه لكنه لم يبادلها الابتسام. بدا التوتر جلياً على فمه وحنكه. وسمعت سعالاً خفيفاً فالتفتت لترى رجلاً قصير

القامة يرتدي بذلة أنيقة يقف.

ووقف غاريك بدوره: «ايللي، هذا لاري لارسون، محامي الشركة ولديه وثيقة يرغب في أن توقّعيها».

رددت ايللي بحيرة: «وثيقة أوقّعها؟ ما هي؟».

قابل غاريك نظرتها بثبات، وقال: «اتفاق ما قبل الزواج».

راقب غاريك ايللي فيما لاري يشرح لها العقد. بدت هادئة جداً، وبالكاد تلفّظت بكلمة، بل جلست في كرسي قبالته وقد شحب وجهها.

ما الذي تفكّر فيه؟ لم يعلم. فباستثناء النظرة المذهولة التي رمقته بها في البداية، لم تعد تنظر إليه. بدت مجروحة، وكأنه أقدم على تصرّف لا يغتفر. تباً! لا يحق لها أبداً أن تنظر إليه على هذا النحو. من المنطقي أن يحلا مسائلهما المالية قبل الزواج، وهذا لا يشكّل أيّ فارق في علاقتهما. ألّا يمكنها أن ترى ذلك؟

أنهى لاري شرحه وقلب الأوراق حتى وصل إلى الصفحة الأخيرة حيث أشار إلى أن توّقع. قال وهو يقدّم لها قلمه: «عليك أن توقّعي هنا وحسب».

لم تأخذ ايللي القلم منه بل هبّت واقفة وجمعت الأوراق.

سألها لاري: «هل من خطب ما؟».

فردّت بهدوء: «لا أبداً. أريد فقط أن أحمل الاتفاق معي إلى المنزل لأقرأه ملياً».

قطّب لاري: «لكني شرحت لك البنود كلها».

- نعم، أعلم هذا. لكني ما زلت أريد أن أقرأه بنفسي.

قطّب غاريك بدوره: «هل ثمة أمر لا تفهمينه؟».

- لا، أبداً.

فقال المحامي بصوت مرتعش: «إذن، ما من داعي لتأجيل التوقيع».

جاء صوتها بارداً وهادئاً وهي تجيب: «لا أوافقك الرأي. لقد شرحت لي الهدف من هذا الاتفاق. لا بدّ من قراءة أيّ وثيقة قبل توقيعها

ولعلي سأجعل محاميّ يلقي نظرة عليها».

حملق فيها لاري فاغراً فمه فيما ابتسمت لغاريك ابتسامة مقتضبة: «هل تمانع إذا ما ألغينا الغداء؟ لست جائعة...».

واستدارت وخرجت من المكتب.

لحق بها غاريك وقال وهو يمسك بمرفقها في البهو: «ايللي، تباً! ما من داعي لأن تجري الأمور على هذا الشكل...».

- أيّ شكل؟

كانت تعابير وجهها باردة ونائية... باستثناء عينيها... إذ بدتا كبركتين زرقاوين مليئتين بالألم. أطلق سراحها ودس يديه في جيبيه ثم تراجع قائلاً: «لا يمكنني أن أجازف بالعمل».

- أعلم. أنا لست غاضبة، صدّقني... لِمَ على المال أن يدمر كل شيء؟ لِمَ يجعل كل شيء فاسداً وقبيحاً؟

قطّب وقال: «أنت تبالغين».

- أعلم. أعلم. أظن أني ما زلت مصدومة. ليتك أخبرتني من قبل!

- كنت مشغولاً.

وفجأة، وجد صعوبة في النظر إلى عينيها: «لقد وقّعت صفقة لشراء لاشلاند هذا الصباح، وهو أمر يعني الكثير لمصانع ويسنوسكي».

- أحقاً؟ أنا سعيدة من أجلك.

وأشاحت بوجهها لتمسح الرطوبة عن خدّيها: «أنا آسفة! عليّ أن أرحل».

وأسرعت لتخرج من الباب.

- ايللي...

وأراد أن يلحق بها مجدداً لكن يداً أمسكت بذراعه تمنعه.

قال المحامي: «دعها تذهب. لا تدع الدموع تخدعك».

حملق غاريك فيه: «ما الذي تتحدّث عنه؟».

هزّ لاري رأسه: «الدموع. إنها تخدع الرجال في كل مرة. لقد

خدعتني أربع مرات. دعها وشأنها... ستوقّع العقد وتنسى المسألة، صدّقني. حتى موعد الطلاق، إذا ما حصل طلاق».

صاح به غاريك بصوت حاد: «أخرج من هنا».

في الساعات التالية، حاول غاريك مراراً أن يركّز على عمله. كان عليه أن يضع خططاً للعمل بعد أن تمت صفقة لاشلاند. إنها مرحلة مليئة بالإثارة والتحدّي بالنسبة إلى مصانع ويسنوسكي وينبغي ألّا يواجه صعوبة في التركيز على العمل.

إلّا أنه لم يعش وضعاً كهذا قط من قبل. دفع الكشوفات التي كان يدرسها بعيداً واستند إلى الخلف في كرسيه. إنه يريد الزواج بإيللي. لقد اتخذ هذا القرار بشكل متهور لكنه رأى أنه القرار الصحيح، إلّا أنه لم يعد واثقاً جداً الآن. منذ أن أثار لاري موضوع اتفاق قبل الزواج المتعلق بفصل الملكيات، راحت إبر الشك تنخزه باستمرار. مسألة الزواج كلها أصعب مما توقّع. وقد أدرك فجأة أن ايللي متطلّبة أكثر من دورين وأمبير مجتمعتين إنما على طريقتها الخاصة.

وتمنى لو أنها تريد المال فعلاً... فمن السهل أن يمنحها المال. إلّا أن ايللي تريد شيئاً أكثر تعقيداً وصعوبة.

تمنى لو أنه مارس حقوقه الزوجية حين أجبر على الزواج بها. لكن هذا ليس كافياً بطريقة ما. فقد أراد المزيد. أراد... ماذا؟ لم يكن يعلم. ما الذي يجري معه؟

قطّب وهو يتأمل اللوحة المعلّقة على الجدار قبالته.

المرأة ذات الثوب الأزرق.

في بادئ الأمر، لم تعجبه بل رأى أنها سخيفة وغبية ومن دون معنى. لكنها بدأت تستحوذ عليه خلال الأشهر القليلة الماضية. كانت تضيء مكتبه، وتكسر الكآبة والملل اللذين يسيطران على الغرفة. إنها أشبه بنافذة تفتح على واقع بديل. وفيما هو ينظر إليها الآن، رأى كيف تتحرك الألوان في خطوط ملتوية ومتعرّجة وأشكال متناغمة ومتوازنة وكيف

يزداد اللون الأزرق كثافة كلما اتجهنا نحو محور اللوحة ووسطها. ما من نقطة ترى فيها تغيّراً في الشكل، لكن اللون الأزرق يصبح زاهياً أكثر وأكثر حتى وسط اللوحة حيث يسيطر لون أزرق كثيف، أزرق كالياقوت...

وفجأة فهم.

حاول غاريك الاتصال بايللي طيلة فترة بعد الظهر وفي المساء، لكن بدا وكأنها اختفت من المدينة. لم يستطع الاتصال بها هاتفياً لأنّ هاتفها خارج الخدمة، وعندما قصد شقتها، لم يفتح أحد الباب فيما بدت النوافذ مظلمة. توجّه إلى صالة العرض حيث قالت له الفتاة الغبية إنّ ايللي في عطلة. وقصد منزل خالتها أيضاً، لكن أفراد أسرتها نظروا إليه بهدوء وقالوا: إنهم لا يعرفون أين هي.

هدؤهم جعله يعتقد أنهم يكذبون، وأنهم يعرفون مكانها، فركن سيارته في آخر الشارع وبقي يراقب المكان لساعات من دون أن يرى أيّ أثر لايللي.

وعاد إلى شقتها وانتظر... وانتظر. وأخيراً، وعند الساعة الثالثة فجراً، دقّ باب الشقة حيث يعيش صاحب المنزل وأقنع الرجل بفتح بابها لعلها تعرّضت للأذى. نظر غاريك من حوله ليرى الجدران عارية والحقائب موضّبة.

قال صاحب المنزل: «قالت لي إنكما ستتزوجان غداً. أتظن أنها غيّرت رأيها؟».

انقبضت معدة غاريك، ووجد صعوبة في إخراج الهواء من رئتيه، وأجاب بجدّة لم يتعمّدها: «لا».

وفجأة، شعر بشيء من الضياع. وغابت الشقة المظلمة الضيقة من أمام ناظريه لتحل محلها ذكرى مكان مختلف... مكان مضاء بأنوار ساطعة، مكان ذو جدران بيضاء ناصعة. كان يقف خارج غرفة الطوارئ في المستشفى حيث يخضع والده لعملية جراحية، ينتظر أن يخرج أحد

الجرّاحين ويخبره بما يجري. ومرت الدقائق بطيئة لتتحوّل إلى ساعات مضنية. كان الوحيد الذي رأى التعبير الذي ارتسم على وجه الطبيب حين خرج ليتحدّث إليهم... تعبير أشبه بالذي رآه في عينيّ صاحب منزل اليونور.

وعاد غاريك يقول: «لا».

إلّا أنّ صوته خرج هذه المرة على شكل همس أجش ومتقطع.

* * *

دمدم روبي: «لطالما ظننت أنه أحمق. كان عليك أن تدعيني أحطم وجهه في المرة الأولى...».

تململت ايللي على الاريكة في شقته. لم تكن في مزاج يسمح لها بالاستماع إلى تهديداته: «أحتاج إلى نصيحة وليس إلى عنف. أحتاج إلى منطق».

- والتجأت إليّ؟

أضاف روبي المزيد من الصلصة إلى طعامه ثم كشر قائلاً: «حسناً... عليك أن تتحدّثي إلى جدك. إنه أدرى بهذه الأمور».

- لا يمكنني معالجة المسألة بنفسي.

أشار روبي بمنطق لا عيب فيه: «لكنك لا تستطيعين وإلّا لما طلبت النصيحة مني».

حدّقت ايللي فيه فيما هو يتناول الطعام. جلّ ما كانت تحتاجه بالأمس هو مكان تفكّر فيه من دون أن تضطر لشرح ما يجري. إنما هذا الصباح، شعرت بحاجة لأن تتحدّث عما حصل... أرادت نصيحة.

قال روبي بعد أن ابتلع طعامه: «أتعلمين يا ايللي؟ لا أظن أنك تستطيعين أن تلومي الرجل حقاً لأنه يحاول حماية شركته».

- أنا لا ألومه. ليس فعلاً... إنما...

وصمتت في محاولة منها لترجمة مشاعرها بالكلمات.

وسألها روبي: «إنما ماذا؟».

- المسألة أنّ غاريك خصص الكثير من الوقت والتفكير والعناية لشركته.

وابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تضيف: «أتمنى وحسب لو أنه خصص لي الوقت والتفكير والعناية نفسها».

تنهّد روبي: «اسمعي، إن كان الرجل لا يحبك فهو أحمق وعليك أن تتركيه».

- أظن أنه يحبني. لكني أظن أنه لا يعرف كيف يحبني.

- إنه عديم التجربة.

فقالت ايللي: «لا، هذا ليس ما عنيته. أعني أنه لا يعرف كيف يناقش الأمور، كيف يتنازل، كيف يسقط دفاعاته».

ظهرت نظرة مشككة على وجه روبي: «هل من رجل يجيد هذا؟».

- ربما لا.

وشعرت ايللي بحرارة حارقة خلف عينيها. الأمر المحزن هو أنها تشعر بأنّ غاريك قادر على هذا كله، وعلى أكثر بكثير إذا ما استطاع أن يسقط دفاعاته. لكنها ستحتاج إلى وقت طويل كي تشق الجدران التي رفعها من حوله.

ربما... ربما، بعد خمس أو عشر سنوات، وإذا ما كانت محظوظة، سيعترف بحبه لها.

هل هي تضيع وقتها وحسب؟

هذا ما عليها أن تكتشفه.

ما كان عليها أن تلجأ إلى روبي. فما من فائدة منه عند الحاجة لنصيحة إذ أنه بعيد كل البعد عن المنطق والحس السليم، وهو لا يدع المنطق والعقل يقفان في طريق مشاعره.

إنما لعل هذا هو الجواب الذي تبحث عنه تحديداً.

١٦ - هل فقدها؟

جلس غاريك إلى مكتبه وراح يحدّق غائم العينين في الورقة أمامه. أخذت الكلمات تتراقص أمامه في فوضى غير مفهومة. إنه يحاول قراءتها منذ ما لا يقل عن ساعة، لكن عينيه الغائمتين ورأسه الثقيل رفضت التعاون. قاربت الساعة الرابعة بعد الظهر ولم يتلق بعد أيّ اتصال من ايللي، وكان قد طلب من السيدة غريست ألّا تحوّل له أيّ اتصالات إلّا إذا اتصلت ايللي. لهذا، بقي الهاتف صامتاً تماماً.

مدّ يده إلى ربطة عنقه يرخيها، ثم شدها ونزعها تماماً. هب واقفاً وراح يجول في الغرفة وهو يفرك حنكه غير الحليق. لقد ترك لها ملاحظة في شقتها، ملاحظة كتبها على عجل: «لست مضطرة لأن توقّعي أي وثيقة. اتصلي بي».

بعدئذ، عاد غاريك إلى منزله، لكن النوم جافاه فتوجه إلى مكتبه إذ لديه الكثير من العمل لينجزه.

إلّا أنه لم يعمل أبداً.

عاد يجلس إلى مكتبه ثم رفع سماعة الهاتف وطلب رقماً.

قال صوت يحمل لكنة طفيفة: «ألو؟».

- سيدة هرنانديز، أنا غاريك ويسنوسكي. هل من أخبار عن ايللي؟

ساد الصمت للحظة ثم ردت: «منذ خمس عشرة دقيقة حين اتصلت آخر مرة؟ لا».

وضع السماعة وأسند رأسه إلى يديه. تملّكه مجدداً ذاك الخوف نفسه الذي شعر به وهو يقف أمام شقتها، إلّا أنه كان أشد وأعنف هذه المرة.

هل فقدها؟

وتراءت له صورة. تذكّر كيف بدت في اليوم السابق، بوجهها الشاحب وعينيها الواسعتين والداكنتين من شدة الألم.

أغمض عينيه اللتين تؤلمانه وتحرقانه، محاولاً طرد الصورة. لم يكن ينوي ايلامها. ما كان له أن يطلب منها توقيع اتفاق فصل الملكيات. يا له من أحمق! إذا ما عادت فسيعتذر منها، ويخبرها كم كان أحمق. سيعوّضها...

إذا ما اتيحت له الفرصة.

لِمَ لم تتصل؟ هل تعرّضت لأيّ أذى. ماذا لو تعرّضت لحادث ما؟ ماذا لو هوجمت من الخلف وسُلبت حقيبتها؟ ماذا لو أنها في المستشفى الآن، وقد تعرّضت لإصابة خطرة، وفقدت القدرة على النطق فضلاً عن أوراقها الثبوتية...

هبّ واقفاً ورفع سماعة الهاتف، طالباً السيدة غريست. وجاءه صوتها: «سيد ويسنوسكي! كنت على وشك أن أطلبك...».

- هل اتصلت؟

ساوره الأمل للحظات لكن المرأة أجابت: «لا، لكن السيد لارسون يريد التحدّث إليك...».

وتحوّل الأمل إلى ألم ودمدم: «أخبري لاري أن يذهب إلى الجحيم. أريدك أن تتصلي بالمستشفيات المحلية. اسألي إذا ما أدخلت أيّ امرأة بمواصفات ايللي في الساعات الأربع وعشرين الماضية...».

- لكن السيد لارسون قال إنّ الأمر يتعلق بايللي...

- واطلبي من الأمن أن... ايللي؟ ماذا عن ايللي؟

- لا أعلم تماماً. قال إنّ عليك أن تنزل إلى قاعة المؤتمرات وإنّ الأمر هام.

قطّب غاريك. هل اكتشف لاري شيئاً ما؟ هل ايللي هنا؟

سارع إلى الطابق الثاني لكنه لم يجد أيّ أثر لايللي عندما دخل إلى قاعة

محاضرات، بل مجموعة من رجال الأعمال الذين يرتدون بزات رسمية رمادية اللون ويحملون حقائب صغيرة سوداء. بدوا كرجال آليين باستثناء الرجل القصير القامة، الأحمر الوجه الذي يرتدي بزّة خضراء مربّعة النقش ويجلس عند طرف الطاولة. بدا الرجل مألوفاً، رغم أنّ غاريك احتاج لبضع لحظات ليتذكّره... كالفن ج. هيبرت، خبير مالي وسليل عائلة هيبرت الارستقراطية والثرية. إحدى شركاته كانت تتنافس مع مصانع ويسنوسكي على شراء شركة لاشلاند. ما الذي يجري هنا؟

- آه، غاريك، ها أنت هنا!

أضاف لاري بصوت خافت: «لن تصدّق ما حصل...».

- سيد ويسنوسكي؟

كان أحد الرجال الآليين قد تكلّم عندما سمع اسم غاريك وأضاف: «أنا ريكس رائكيلر، كبير الشركاء في شركة رائكيلر وبرود وكامبل. هؤلاء هم السيد برود والسيد كامبل وشركاؤنا السيد بسنر والسيد وايت والسيد كيبوث».

عبس غاريك. لقد سمع بهذه الشركة ومقرها في فيلادلفيا. إنها إحدى أفضل شركات المحاماة في البلاد: «إذا كان لهذا أيّ علاقة بلاشلاند...».

- لاشلاند؟

بدا المحامي مرتبكاً حتى همس أحد زملائه في أذنه، فمسح جبهته وأضاف: «فهمت. لا يا سيد ويسنوسكي. وجودنا هنا لا علاقة له بشركتك. استعان بنا زبوننا لمناقشة اتفاق فصل ملكيات قبل الزواج...».

تردد صوت رنين في أذنيّ غاريك ما منعه من سماع ما تبقّى من جملة الرجل. لقد أمضى الساعات الأربع وعشرين يجول في انحاء المدينة بحثاً عن ايللي، وهو يكاد يجن من الخوف والقلق، فيما هي تستعين بمجموعة من المحامين؟ ولم تختر أيّ محامي بل اختارت أكثرهم خبرة، وحنكة،

وكلفة. . .

واخترق صوت لاري القلق الضباب الذي يلفّه: «يدّعي السيد رانكيلر أن ايللي ليست معدمة. يدّعي أنها تملك مالها الخاص. يدّعي أنّ. . .».

قاطعه الرجل العجوز الذي يرتدي البذلة الخضراء معلناً بصوت بارد: «إنه لا يدّعي، بل يدلي بوقائع. أنا كالفين ج. هيبرت واليونور غراسيلا هيبرت هرنانديز هي حفيدتي وتملك رأسمالاً يتجاوز مئتي مليون دولار. . .».

جحظت عينا لاري وقال لاهثاً وهو يرتمي في كرسيه: «مئتا. . . مليون. . . دولار!».

وساد الصمت للحظة، صمت لم يخرقه سوى الأصوات التي أصدرها لاري.

وفجأة، فتح باب قاعة المحاضرات. لتدخل امرأة قصيرة القامة، ذات خصائل سوداء وعينين زرقاوين واسعتين. بدت للحظة مذهولة لرؤية هؤلاء الرجال في الغرفة، ثم رأت هيبرت. فدمدمت: «جدي؟».

ثم صاحت: «جدي!».

وأسرعت راكضة نحو أول الطاولة وارتمت بين ذراعيه وهي تضحك وتعانقه وتقبّله: «جدّي، ما الذي تفعله هنا؟».

١٧ - وعادت

ردّ فعل غاريك الأول عند رؤيتها هو الشعور بالارتياح لأنها بخير، لكن وقبل أن يغيب الارتياح، ارتمت بين ذراعيّ الرجل العجوز تعانقه وتقبّله. صرف غاريك بأسنانه فهي لم تكذب عليه وحسب. . . بل لم تلاحظ حتى أنه موجود في الغرفة.

كان انتباهها كله مركزاً على الرجل المسن، على كالفين ج. هيبرت، أحد أثرى الرجال في البلاد، جدّها. سمع هيبرت يشرح لها: «اتصل بي روبرت. أنا واثق من أنها المرة الأولى التي يظهر فيها هذا الشاب بعض الفطنة والمنطق. أخبرني أنّ حفيدتي الوحيدة ستتزوج».

احمرت ايللي وقد تملكها الشعور بالذنب: «أنا آسفة جدي. لم أكن واثقة. . .».

قال وهو يقاطع تبريرها ويرمق غاريك بنظرة: «جئت على الفور. أردت أن أقابل خطيبك هذا. عليّ أن أقول يا اليونور إني لا أثق تماماً بخيارك. . .».

- جدي. . .

- لكن روبرت يقول إنه أفضل من السابق. على الأقل، يبدو أنه يملك بعض المال الخاص به، علماً أني لا أحب فكرة اتفاق ما قبل الزواج هذا، فأنا لا أريد أن يخدعك أحدهم ويسلب منك إرثك.

- أيّ ميراث؟

وتلاشت ابتسامتها واستحال صوتها بارداً وهي تضيف: «لقد نكرتني وحرمتني من الميراث، أتذكر؟».

وجاء دور هيبرت ليحمّر، وصاح: «هذا هراء. أنت تعلمين أني لم أكن أعني ذلك. كنت غاضباً وحسب».

- عنيت ذلك عندما حرمت أبي من ميراثه.

- حسناً، أنا أتعلم من أخطائي. وأنت كل ما لدي يا اليونور.

بدت عيناها غائمتين: «آه، جدي...».

وقاطعهما صوت متهكم: «أكره أن أقاطع هذا اللقاء المؤثر يا آنسة هيبرت، إنما هل أستطيع التحدّث إليك قليلاً؟ وحدنا».

رفعت ايللي نظرها لترى غاريك يمسك بباب يفضي إلى مكتب صغير ملاصق. بدا الشعر الأسود نابتاً على فكه المشدود كما بدت عيناه ضيقتين وحمراوين.

سارت نحو الغرفة، فأغلق غاريك الباب واستند إليه شابكاً ذراعيه على صدره وسألها: «حسناً؟».

نظرت إليه نظرة شك: «ماذا حصل لك؟ تبدو مريعاً...».

- لا تحاولي تغيير الموضوع... اليونور.

أخفضت نظرها وقالت: «أفترض أنه كان عليّ أن أخبرك...».

- تفترضين؟ هل كنت تنوين إخباري أنك تملكين مئتي مليون دولار في المصرف؟

- الأمر ليس على هذا النحو. تخاصمت أنا وجدي عندما انتقلت. لم أره أو أتحدث إليه منذ عام. لم أشأ أن يسيطر عليّ، هو وماله. لقد تبرأ مني، وهذا يناسبني.

- لا يبدو وكأنه تبرأ منك.

- يبدو أنه بدّل رأيه.

- لا بدّ أنك كنت تعلمين أنه سيفعل.

- في الواقع، بدا أنه لن يفعل، فقد تبرأ من والدي. عاش والداي في الفقر لأن جدي عارض زواج ابنه من خادمة مكسيكية. لم يتحمل مسؤوليتي إلّا بعد وفاة والديّ. وسرعان ما أظهر لي أنه المسيطر، فكان

يختار لي مدرستي وأصدقائي. ولما لم أعد أحتمل، تركت المنزل.

- هذا لا يبرر لما لم تخبريني.

رمقته بنظرة سريعة: «أحياناً يتصرف معي الناس بشكل مختلف عندما يعلمون بثروة جدي».

- فهمت. لذا، أفترض أنك أحببتني لنفسي وليس من أجل مالي، لكنك لست مستعدة لأن تثقي بي؟

- ليست المسألة مسألة ثقة! لم يبدُ الأمر مهماً لا سيّما وأن جدّي تبرأ مني. كنت لأشعر بسعادة عارمة لو أنّ هذا صحيح، فالمال يفسد الأمور.

تقدّم منها غاريك خطوة قبل أن يقول: «الكل يحتاج للمال ليعيش. لكنك تريدين العيش في عالم خيالي حيث يمكنك أن تدّعي أنّ المال غير موجود، حيث لا تضطرين لتحمّل مسؤولية بقاءك على قيد الحياة. المال يحسّن كل شيء».

قالت بهدوء: «ليس كل شيء».

فقال بإيجاز: «تجاوزي الأمر. إذن، لعل جدك حاول التحكّم بك... ثمة مشاكل كثيرة أسوأ بكثير... كألّا يتوفر لك ما يكفي من الطعام لتأكلي، أو ألّا يكون لك منزل».

أومأت ببطء، متذكرة جهود والدها ومدى تعب أمها عند عودتها إلى البيت بعد تنظيف المنازل طيلة النهار: «أعلم أنه ينبغي ألا أشتكي... لكن المسألة لا تتوقّف عند التحكّم. عندما انتقلت للعيش مع جدي، عاملني الجميع بشكل مختلف. الاشخاص الذين ما كانوا ليأبهوا لي، أصبحوا فجأة يسعون للخروج معي. كان الرجال يقولون لي إني الأجمل والأروع على وجه الأرض. لم أعرف يوماً من كان صادقاً في كلامه».

فتح غاريك فمه ليعترض ثم عاد وصمت. في الواقع، ما قالته يتضمن بعض الصحة، وقد اختبر هذا بنفسه. تابعت كلامها من دون أن تلاحظ ارتباكه: «قال لي رايف إنه يحبني، لكنه سرعان ما تخلّى عني عندما تبرأ مني جدّي وحرمني من الميراث. ينظر إليّ الناس بشكل مختلف عندما

يعلمون أني ثرية. لعلك تنظر إليّ بشكل مختلف».

شرع ينكر كلامها ثم صمت مدركاً أنّه صحيح. لقد تغيّرت علاقتهما تماماً وبطرق عدة وجوهرية. لم يعد رجل الأعمال الثري الذي ينقذ الفتاة العاملة المسكينة من حياة الفقر. بطريقة ما لم يعترف بها حتى الآن، منحه ماله أفضلية عليها، ربما نوع من التفوّق، وكأنما عليها أن تكون «ممتنة» له.

لم يعد وضعه المالي يمنحه أفضلية عليها... في الواقع، العكس هو الصحيح. فهي تملك من المال أكثر منه، ولم تسرّه الفكرة.

نظر إليها عابساً: «أفترض أنه يغيّر الأمور...».

تراجعت إلى الخلف وقد ظهرت على وجهها نظرة ابتلاء: «أفهم...».

مدّ يده وأمسك بذراعها: «لا، لم تفهمي يا ايللي. لا يمكنني أن أنكر أن المال يغيّر نظرة الناس إلينا، لكنه لا يغيّر شعوري نحوك».

التفتت إليه: «وما هو شعورك نحوي يا غاريك؟».

أفلت ذراعها ووقف صامتاً تماماً. شعرت ايللي بقلبها ينفطر، واستدارت مجدداً لتغادر، لكنه تكلم بصوت هادئ: «تلك اللوحة... المرأة ذات الثوب الأزرق».

جمدت في مكانها.

- لم أحبها في بادئ الأمر. لم تبدُ لي منطقية، فألوانها وأشكالها عبثية وغير قابلة للتفسير. إنما عندما نظرت إليها بمزيد من التركيز، ثم لاحظت مدى كثافة اللون الأزرق، وكم هو زاهي وكم هو صحيح وحقيقي.

أحست به يقف خلفها: «إنها أنت، أليس كذلك يا ايللي؟ المرأة ذات الثوب الأزرق هي أنت. احتجت لوقت طويل كي أكتشف هذا، لكني فعلت أخيراً. حينئذ، أصبحت الأمور واضحة».

أمسك بها من كتفيها وأدارها لتواجهه: «ارتكبت الكثير من الأخطاء الحمقاء يا ايللي، مثل الطلب منك أن توقّعي ذاك الاتفاق. لقد منحتني

فرصة ثانية ذات مرة، والآن أنا أطلب منك فرصة ثالثة. مسألة العلاقة هذه أصعب مما توقّعت، لكني مستعد لأن أتعلّم. أنا مجتهد وسأبذل قصارى جهدي كي تنجح علاقتنا لأني أحبك يا ايللي. أنا أحبك، وإذا ما رضيت بالزواج مني، فسأقضي بقية حياتي وأنا أثبت لك ذلك».

ابتسمت ابتسامة مرتعشة: «آه، غاريك، أنا أحبك كثيراً».

وفجأة، ارتمت بين ذراعيه وراح يعانقها وكأنها أكثر قيمة وأجمل وأثمن من متحف ملىء بأروع الأعمال الفنية في العالم.

تنهدت ووخزتها وجنتاها من شعر لحيته النابت، لكنها كانت أسعد من أن تهتم: «دعنا نترك الاتفاق للمحامين ونرحل».

أزاح خصلة شعر عن جبهتها وتريّثت أنامله على بشرتها: «أيّ اتفاق؟».

- ذاك الذي حضّره لاري. عندما فكرت فيه جيداً أدركت أني تركت المال يتحكّم بي. ظننت أنّ المال هو سبب مشاكلي كلها، لكني أدركت أنّ سبب المشكلة هو أنا وخوفي وليس المال. أدركت أني أحبك كثيراً بحيث ينبغي ألّا أدع شيئاً يفسد ما بيننا. إني أحمل الاتفاق معي وقد وقّعته.

- أوقّعته حتى بعد أن طلبت منك ألّا تفعلي؟.

حدّقت فيه: «طلبت مني ألّا أفعل؟».

- نعم، في الرسالة التي تركتها مع صاحب المنزل هذا الصباح. ألم تقرئيها؟

- لم أذهب إلى المنزل.

رفعت نظرها إليه وقد تأثرت إلى أقصى حدّ لأنه وثق بها بما يكفي ليطلب منها عدم توقيع الاتفاق. وتابعت تقول: «لكن المسألة لم تعد مهمة الآن. دعنا نعطيه للمحامين».

عبس: «لن ينجح هذا، نحتاج لاتفاق جديد».

ذوت ابتسامتها: «لماذا؟».

- لنحمي ميراثك.

- أنا أثق بك.

نظر إليها مفكراً: «لِمَ لا نترك المحامين يعالجون المشاكل المالية ونتوصل نحن إلى اتفاقنا الخاص؟».

- اتفاقنا الخاص؟

ورأته يخرج من الدرج قلماً وورقة ويشير إليها بالجلوس إلى المكتب. قطبت وجلست بعد تردد طفيف: «ماذا تعني؟».

- حسناً، دوّني ما يلي... يُمنع منعاً باتاً أن تصحبيني لحضور محاضرة يلقيها البروفسور جامسون.

أبتدأت البسمة ترتسم على شفتيها وأطاعته فكتبت: «أنا اليونور ج. هيبرت هرنانديز أعدّ بألّا اصطحب غاريك ويسنوسكي لحضور أيّ محاضرة يلقيها جامسون».

بعدئذ، تابعت الكتابة: «يحق لاليونورج. هيبرت هرنانديز وحدها أن تختار الأعمال الفنية الخاصة بالمنزل».

- همم...

ادّعى أنه يفكّر في ما كتبته: «حسناً... طالما أنك لا تشترين أيّ عمل من أعمال كاسبر».

ضحكت وقالت: «حسناً... لكن علينا أن نمضي ليلة الميلاد مع عائلتي».

- لن أجادلك في هذا.

وصمت لحظة ثم أضاف ببطء: «إلّا أنني أود أن أدعو أختي وابنتها».

ابتسمت له: «إنها فكرة حسنة».

كشّر قليلاً: «لست واثقاً. وقد أعيش لأندم على قراري هذا».

فقالت بثقة: «لا، لن تندم».

نظر إليها مبتسماً: «أصدّقك. وبما أننا نتحدّث عن العطلة... ينبغي ألّا تشتري لي أيّ ربطة عنق».

- ظننت أنك أحببت ربطة العنق التي أهديتك إياها.

- أحببتها. أحببتها إلى حدّ أني أريدها أن تبقى فريدة من نوعها في خزانتي إلى الأبد.

زمّت شفتيها استياء: «اتفقنا. إنما ينبغي إذن ألّا تشتري لي أيّ مجوهرات».

جثم قربها ونظر في عينيها: «أخشى أني خالفت هذا البند».

وأخرج من جيبه علبة صغيرة قدّمها لها: «افتحيها يا ايللي».

رفعت الغطاء بأصابع مرتجفة ورأت خاتماً بسيطاً من البلاتين، يعلوه حجر رائع من الياقوت. نظرت إليه والدموع تملأ عينيها: «آه، غاريك، إنه جميل. لعلي سأسمح باستثناء... هذه المرة فقط».

ورفعها عن الكرسي وعانقها.

وبعد حين، خرجا من المكتب إلى قاعة المحاضرات وتوجّها نحو الباب.

راقب هيبرت الثنائي المبتسم فيما هو يتوجّه نحو الباب ثم قطّب وسأل: «إلى أين أنتما ذاهبان؟».

ردّت ايللي: «لنتزوج».

تدخّل لاري ليسأل: «لـ... لـ... لكن ماذا عن اتفاق ما قبل الزواج؟».

- أنا وايللي كتبنا اتفاقنا الخاص.

ونظر غاريك إلى القاعة المليئة بالمحامين وأردف: «لديكم بعد ظهر هذا اليوم لتتوصلوا إلى اتفاق يرضى به الطرفان. وإلّا، سيكون مصيركم الطرد».

وخرج غاريك وايللي من الغرفة من دون أن يضيفا أيّ كلمة أخرى فيما قال السيد رائكيلر باستهجان: «هذا مستحيل».

التفت هيبرت إلى المحامي بعينين أشبه بعيني نسر وقال: «ما من مستحيل. اكتبوا اتفاقاً عادلاً ومنصفاً. هذا كل ما عليكم أن تفعلوه. لكن من الأفضل أن تبدأوا الآن بدلاً من أن تجلسوا هكذا وتتحدثوا

بمرارة».

وغمغم أحدهم باشمئزاز: «الحب».

عبس هيبرت الذي انتقل للوقوف قرب النافذة. كان على وشك أن يدلي بتعليق حين رأى غاريك واليونور يخرجان من باب المبنى. بدا أنهما لا يستطيعان الصبر حتى تصل سيارة الليموزين فأوقف غاريك سيارة أجرة وصعدا على متنها. انطلقت السيارة، واستطاع أن يرى عبر زجاج السيارة الخلفي، الثنائي يتعانق. وارتفع طرف فمه في ابتسامة طفيفة فيما همس بصوت كئيب: «نعم، الحب».

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة